جامعة بجاية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأبعاد الوطنية و التربوية في شعر مفدي زكريا
دراسة في إلياذة الجزائر

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب جزائري

إعداد الطالبين:
ـ فيصل أوعثماني
ـ محمد ناصري

إشراف الأستاذ:
ـ خثير تكركارت

السنة الجامعية: 2015/2014

الإهداء

إلى الحضن الدافئ و القلب الحنون و نبع المحبة...

إلى من خاف عليا في مرضي و حزنت لحزني و كانت أسعد الناس لنجاحي أمي

إلى روح أبي رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه..

إلى كل من كان قريبا مني و كل من عرفت في حياتي أصدقاء و أقارب..

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخواني

إلى زملائي في الجامعة

إلى كل باحث في دروب العلم و المعرفة أهدي إليهم ثمرة جهدي المتواضع.

فيصل أوعثماني

الاهداء

إلى رمز الرجولة والتضحية

إلى من دفعني إلى العلم وبه ازداد افتخار
أبي

إلى من هم اقرب ليّ من روحي
إلى من شاركني حضن ألام وبهم استمد عزتي وإصراري
اخوتي

إلى من آنسني في دراستي وشاركني همومي
تذكاراً وتقديراً

أصدقائي

محمد ناصري

كلمة شكر و عرفان

إلى الشموع التي ذابت في كبرياء
لتنير كل خطوة في دربنا
لتذلل كل عائق أمامنا
فكانوا رسلاً للعلم والأخلاق
شكراً لكم جميعاً

هل يستطيع أحد أن يشكر الشمس لأنها أضاءت الدنيا
لكني سأحاول رد جزء من جميلكم بأن أكون كما أردتموني
((إنسانية قبل أن أكون مهنية))
نشكركم جميعكم على جهودكم معنا

مقدمة

مقدمة:

الشعر الجزائري عمومًا يدرس القضية الوطنية، فهو مرآة للمجتمع، و حامل لمختلف القضايا الوطنية، و الحياة الإجتماعية، و السياسية، و الدينية، ويحمل في طياته معاناة ، و جل المظاهر التي عاشها الشعب الجزائري، وواكب الثورة الجزائرية بمختلف مراحلها، حتى الإستقلال، أين كان له الدور الفعال في توعية الشعب، وبعث روح الحماس، و زرع الأمل فيهم، و كان شأنه، شأن الكفاح المسلح، فإذا كان هذا الأخير بالسلاح فإن الشعر بالقلم و اللسان، فهكذا كان دور الشاعر لا يقل أهمية عن ذلك المجاهد، و من أهم الشعراء الذين عرفتهم الجزائر، الشاعر الكبير "مفدي زكريا".

مفدي زكريا، شاعر يربي الأجيال، ويحفظ التاريخ من الزوال، و من خلال أشعاره، يمكن نتعرف، و نعوض في أعماق ثورتنا المجيدة، بأسلوبه و عالمه الخاص، الذي يتميز به على غرار غيره، بالفصاحة و الجزالة، فيدخل إلى القلب دون استأذن، ويترك فيه بصمة لا تمحى طوال الزمن، بصمة حب الجزائر، و التجلي عن كل غال و نفيس من أجلها، فهي الغاية التي أرادها، و المبتغين الذي من أجله سعي.

و إن الحديث عن "مفدي زكريا" الشاعر يستوجب الحديث عن مفدي زكريا الإنسان، إبن بيئته و محيطه.

ما هي القيم الدينية و الروحية و الأخلاقية في شعر مفدي زكريا؟ و ما هي انعكاساتها الوطنية و التربوية؟

هذا ما سنجيب عليه في بحثنا هذا، إضافة إلى أشياء سنكتشفها، ولعل السبب الرئيسي الذي جعلنا نختار موضوعنا هذا، في البداية هو سبب ذاتي ، و ذلك لشدّة حبنا و تعلقنا بالشاعر الكبير "مفدي زكريا"، و النار و الحماسة التي تشعل فينا ، حينما نقرأ دواوينه و أشعاره، فهو بالنسبة لنا قدوة، نقتدي به، و مثلنا الأعلى، و بالنسبة لنا كل إنسان يعتز

بجزائريته، و انتمائه للجزائر، و يتوجب محبة رموزها التي تبين سيادتها، من العالم و النشيد.. فلا يغفل على بالنا أن مفدي زكريا، هو صاحب النشيد الوطني للجمهورية الجزائرية، إذًا فهو راسم لأحد رموزها، وثانيا السبب الموضوعي، فنحن نحاول أن نبين جانبًا من جوانب شعر مفدي زكريا، و مدى الأسى ، و الألم الذي عاشه ، من خلال مكوثه في السجن و نفيه و بفضل شخصيته القوية استطاع أن يعيد بناء نفسه رغم العوائق التي كانت تعترضه، لأنه بكل بساطة حامل للقضية الوطنية.

و نري أن معظم البحوث كانت تهمل الجانب النفسي في دراستها لشخصية مفدي زكريا، في شعره عامة و الإلياذة خاصة، و في سبيل تحقيق هذا فقد وضعنا حدودًا موضوعية لبحثنا من خلال دراسة الجوانب و الأبعاد الفلسفية منها التربوية، الوطنية، الدينية، و حتى الإجتماعية و السياسية، في فترة الإستعمار و الرجوع إلى الأصل فضيلة، و لعل أهم الدراسات السابقة لشعر مفدي زكريا تكاد منعدمة، على غرار بعض الدراسات في دراسة ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكريا، على يد حمة دحماني سنة (2005)، و شعرية المبالغة لإلياذة الجزائر لمفدي زكريا أنموذجًا، دراسة أسلوبية فنية فهي عبارة عن مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص بلاغة و أسلوبية لأسماء بن منصور سنة(2009)، و محمد بن صالح باجو في محاضراته سنة(2005)، و هذه الدراسات كانت تركز على الجانب الجمالي و البلاغي بشكل عام، وأهملت شخصية مفدي زكريا، و لم تعط لها حقها، و ما يميز بحثنا هذا على جميع هذه البحوث، حاولنا أن نغوص قدر المستطاع في شخصية مفدي زكريا، فجمعنا أكبر عدد من المعطيات و خصصنا فصلاً بأكمله لإلياذة الجزائر و أسلوب مفدي زكريا، و البحث عن كل الأبعاد التي استخدمها، و هذا ما جعله يتميز بسمات الجدّة و الطرافة في الطرح و التناول.

و للوصول إلى النتائج المرجوة، فقد اخترنا المنهج النفسي، منهجًا لموضوع بحثنا لما يستند إليه من أدوات إجرائية، و هو المنهج المناسب و الملائم لموضوع بحثنا، فهو يهتم

أيضًا بما هو خارج عن النص، من النشأة و البيئة و غير ذلك...فهو يجعل الموضوع في بيئة واسعة، ما يتيح للباحث أن يتعمق في موضوعه، و أن لا يتقيد بما جاء في المعطيات، مما يجعلنا نعطي شخصية مفدي زكريا حقها، رغم أنه مهما كتبنا لا يمكننا الوصول إلى شخصيته و من أجل هذا فقد قسمنا موضوعنا هذا إلى فصلين.

الفصل الأول، تطرقنا إلى لمحة تاريخية عن الثورة الجزائرية، ثم ذكرنا أهم شعراء الثورة الجزائرية على غرار أبو القاسم سعد الله، و أبو القاسم خمار، ثم اتبعنا ذلك مباشرة بحياة الشاعر و نشأته، من خلال حياة الشاعر المجيدة و البيئة التي نشأ و ترعرع فيها، و حياته العلمية ثم أهم المدارس التي أخذ و شرب منها، سواء من الجزائر في مسقط رأسه، أو في تونس و المغرب.

ثم استعرضنا نبذة عن كفاحه الوطني و القومي، فمن العمل التجاري، إلى الالتحاق بجمعية طلاب إفريقيا، إلى أقصى لحظات حياته في السجن، و نظمه للشعر.

بعد كل هذا توجهنا مباشرة إلى أهم أعماله التي كانت متنوعة وعديدة، فقد ذكرنا أهم دواوينه، فمن "اللهب المقدس"، إلى ديوان "تحت ظلال الزيتون"، إلى ديوان" من وحي الأطلس"، واختتمناه بموضوع بحثنا "إلياذة الجزائر".

و كل هذا دفعنا إلى قراءة و استقراء بعض من أشعاره، التي تبقى خالدة و لا تزول مهما حاولوا طمسها، شعر تقشعر به الأبدان فقد حاولنا الدخول مباشرة في "النشيد الوطني الجزائري"، ثم إلى "نشيد نحن طلاب الجزائر"، هذا ما يظهر أن مفدي زكريا لم يهمل الشباب، تم إلى "نشيد العلم"، واختتمناه بنشيد "الشهيد" في سجن بربروس.

و لقد سمينا الفصل الأول من بحثنا، "مفدي زكريا سيرة و مسيرة"

ثم تطرقنا في الفصل الثاني إلى دراسة إلياذة الجزائر، و هذا ما سميناه "أبعاد شعر مفدي زكريا، دراسة في إلياذة الجزائر"، و فيها تطرقنا إلى لمحة عن إلياذة الجزائر أين تعمقنا ولو بالشكل القليل، من خلال استخلاص مختلف الدراسات التي أقيمت عنها.

و تعتبر هذه الدراسة، دراسة رقمية، من خلال إحصاء الأبيات و المقاطع.

وانتقلنا إلى أقسام إلياذة الجزائر، باعتبارها أسطورة، و ملحمة، ولوحة فنية و جمالية خارقة للعادة، و لقد لخصناها في ثلاثة أقسام وهي: قسم الجمال الطبيعي، الذي ارتكز على طبيعة الجزائر الساحرة، والقسم الثاني هو قسم المعاني و الجلال الذي استحضر فيه الشاعر التاريخ القديم في ذكره لمختلف الحضارات و القسم الأخير هو قسم الحضارة التي تميز كل أمة و تستنجد بها من أجل الرقي و الازدهار، و لمحنا إلى التوزيع الرقمي لبنية الإلياذة.

بعد ذلك ذكرنا أبرز خصائص مفدي زكريا، وخصائص أسلوب أشعاره، أين تعمقنا و لو بالقليل فحصرناها في ستة نقاط و هي : شعر أصيل حتى النخاع، و صادق و هو رائع في رسم الصورة الشعرية، ومستمد من التراث الإسلامي بقيمه و مثله، متأثرًا بعظمائه، بارعًا في الاقتباس و التضمين، سواء المفردات أو الأحداث من القرآن أو التاريخ، وأخيراً دعوته إلى الوحدة الكبرى.

ثم انتقلنا إلى أبرز و أهم الأبعاد و فلسفة الأخلاق في شعره، و التي استمدها من التربية و الأخلاق و مبادئ الإسلام، و الأخلاق و الإبداع.

و أخيراً اختتمناها في أبعاد فلسفة الأخلاق و التي تمحورت في ثنائيات على الشكل التالي: الخير و الشر، الحرية و العدالة، الحب و الأمل، و أخيراً الفضيلة.

و في سبيل تحقيق بحثنا هذا لقد واجهتنا عدّة صعوبات و عراقيل و معوقات معنوية و مادية، فمن المعنوية أن مستوانا ليس بالقدر الكافي فلولا الإرادة و الإصرار، و السهر، لما

تمكنا من انجاز هذا البحث، أما المادية فهي ندرة المصادر و المراجع، إن لم نقل أنها منعدمة، خاصة في جامعة عبد الرحمان ميرة، و الجانب المادي لا يسمح لنا بشرائها، و لا نغفل نقص المواصلات، و لا نغفل عل شكر إدارة ثانوية برباشة، و المركب الرياضي الجواري لدائرة برباشة، الذين و فروا لنا كل الإمكانيات.

الفصل الاول

مفدي زكريا سيرة و مسيرة

1-مفدي زكريا سيرة و مسيرة

1-1-لمحة تاريخية عن الثورة التحريرية :

حينما نتصفح الصفحات التي سجلها التاريخ المعاصر عامة و التاريخ العربي خاصة عن كفاح الشعوب في سبيل التخلص من الاحتلال الأجنبي يسترعي نظرنا و يثير وجداننا، ثورتنا التحريرية التي اندلع لهيبها في الفاتح من نوفمبر 1954م، و استمرت متوقدة حتى كتب الله لها النصر المبجل.

فأعطى الأعداء درساً في القوة الحقيقية و استرجع مشعل الحرية و أعلن الاستقلال في 5 جويلية من سنة 1962م بعد مائة و اثنتين و ثلاثين سنة من الاستعمار لم تنقطع جلالها حلقات المقاومة و الكفاح ، فما إن تخمد السلطة الباغية جذوتها في منطقة حتى يعود الرماد إلى الإشتعال في منطقة أخرى إلى أن هب الشعب عن بكرّة أبيه في ثورته الكبرى محطمًا قلاع الظلم و الظلام.([1])

إن الثورة التحريرية التي قادها الشعب الجزائري بكل عزيمة و قوة، وجب لنا الانحناء أمامها تصفحنا، صفحات التاريخ لتفردها من جهة عن سائر الثورات العربية التي شهدتها تلك المرحلة، كالثورة التونسية ، لذلك فقد استحقت الثورة الجزائرية أن تكون أسطورة يحكى و يشهد لها التاريخ.

و يعود الفضل في نجاحها إلى شعبها الذي قدم الغالي و النفيس في سبيل استعادة حريته و أرضه، قدم روحه و دمائه في سبيل استعادة حريته و استقلاله الذي قد سلب منه.

[1] سهام خرفي ،مفدي زكريا شاعر الثورة ، سلسلة مشاهير الأدب العربي ،قرطبة للنشر و التوزيع ، ط2، ،الجزائر، 2012م،ص 6.

نعم شعب استحق الحرية لصدّقه و كفاحه الطويل، شعب سقط في أرض المعركة، شهداء يرددون "الله أكبر، تحيا الجزائر".

شكراً و ألف شكر لكل جزائري ضحى بحياته من أجل استقلال الجزائر، و رحمة الله على الشهداء الأبرار.

1-2- أهم شعراء الثورة التحريرية:

إن الثورة في العموم و الثورة الجزائرية في وجه الخصوص لنست في أرض المعركة جنود و شهداء يدافعون عن وطنهم بالسلاح ، نعم فإن الكفاح المسلح هو الطريق الأمثل في سبيل تحرير أي أمة مهما كانت .

لكن هناك البعض على غير الكل اختاروا طريقًا آخر غير الكفاح المسلح، هم الذين بعثوا الحماس، بمثابة البنزين، نعم هم الشعراء.

لذلك فلا تخلوا أي ثورة من شعراء ، فهم يمثلون ضمير شعبها ، يصورون ما يخالج صدر هذا الشعب من آمال ، و ما يقاسيه من آلام ، و ينتصرون في قصائدهم و أناشيدهم بالثورة ، فيمجدون رجالها و يخلدون شهدائها ، و يحضون الشباب إلى الانضمام إلى ركب النضال([1])

و لقد تعددت أسماء الجزائريين الذين انضموا إلى الثورة الجزائرية و ضحوا في سبيلها بأمنهم و حريتهم و حياتهم، فمنهم من استشهد و هو في رحمة الله، و منهم من هم أحياء يرزقون.

1- سهام خرفي ، المرجع السابق ص 5

وعلى ذكر الأسماء فلا نغفل الأولين من أمثال : محمد الزاهري، و زهير الزاهري، و الهادي السنوسي، و الربيع أبو شامة .([1])

ومن الآخرين يمكن لنا أن نذكر : أبو القاسم سعد الله ،و أبو القاسم خمار، وصالح خباشة ، و الأخضر السائحي، و محمد العيد آل خليفة .

لا يمكننا أن نغفل ما قدمه كل هؤلاء الشعراء الذين قد سبق و أن ذكرناهم ، لكن يبقى يتصدر جميع هؤلاء الشعراء شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكريا" ، الذي قد كتب اسمه بأحرف من ذهب ، سواءً بشعره، أو بتلك الهزة الحماسية التي يستقي منها كل من هو جزائري أراد أن يتذكر الثورة ، فما عليه تصفح شعر مفدي زكريا ، نعم لقد استحق لقب شاعر الثورة الجزائرية ، و لا يمكننا أن نغفل بأن شاعرنا مفدي زكريا هو صاحب النشيد الوطني الجزائري.

1ـ3ـ حياة الشاعر مفدي زكريا و نشأته:

أ- حياة الشاعر المجيد:

مفدي زكريا هو شاعر الثورة الجزائرية، و ما قدمه للجزائر أكثر بكثير مما تقدمه له، و مهما قلناه، فإن حياته حتما لا تقتصر على ما نقدمه في هذه الأسطر و الصفحات، و لكنه جانب حاولنا فيه التركيز و التعمق فيه من أجل إظهار شيء من حياته.

إذن هو الشيخ زكريا بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى.([2])

[1] ـ سهام خرفي، المرجع نفسه، ص.6.
[2] ـ موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرّة، شاهد في كومنز صور و ملفات عن مفدي زكريا،15 أفريل2015، الساعة 12:21.

ولد مفدي زكريا في بني يزقن، وهي إحدى قرى بني ميزاب في الجنوب الجزائري، لعام 1908م، و قد كانت الجزائر آنذاك ترضخ تحت وطأة المستعمر الذي جثم على أنفاسها منذ عام 1830م، و قد كان نصيب الجنوب الجزائري من المعاناة كبيرًا، لا بسبب قساوة مناخها و ضيق موارد العيش فيها فحسب بل بسبب الحصار الذي فرضه المستعمر الغاشم على جميع المناطق الصّحراوية.([1])

لقد كان محرمًا على أبناء الشعب الجزائري في الجنوب الانتقال من جهة إلى آخري في بلادهم، إلا بتصريح كتابي توقعه السلطة، لا لذنب اقترفوه بل لأن منطقتهم تزفر بالكنز الأسود "البترول".([2])

البترول الذي يعد الشريان الحيوي الذي يغذي الاقتصاد الاستعماري كما كان من عوامل تشديد الحصار خشية المستعمر من حدوث اتصال بين سكان الشمال و الجنوب، يثمر عن قيام ثورة تستأصل الظلام من جذوره.

في تلك البيئة، وتحت دياجير الحكم الظالم، ولد و نشأ "مفدي زكريا"، فكان من الطبيعي أن تتكون بداخله طاقة هائلة تتنبأ عن استيائه من هذا الدخيل الذي صال و جال في بلده بقوة السلاح حتى نال باستحقاق، لقب شاعر الثورة الجزائرية.([3])

و ما يجذر بنا الإشارة إليه، هو أن لقب الشهرة و هو "مفدي"، لقد لقبه به زميل دراسته سليمان بوجناح، فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به.([4])

كما كان يوقع أشعاره "ابن تومرت"، حيث بدأ حياته التعليمة في الكتاب، بمسقط رأسه، فتحصل على شيء من العلوم و اللغة .

---

[1] ـ سهام خرفي، المرجع السابق ص 7

[2] ـ موقع ويكيبيديا، الموقع نفسه.

[3] ـ سهام خرفي، المرجع السابق ص 8.

[4] ـ مصطفى بت صالح باجو، محاضرة ألقيت في قاعة المحاضرات، كلية الشريعة و القانون، بجامع السلطان الأكبر، في مسقط، مساء السبت 2005/05/14م،

إذا بدأ "مفدي زكريا"، مساره في مسقط رأسه، متعلمًا بكتاب البلدة، حيث حفظ جزءا من القرآن و مبادئ العربية و الفقه، ثم اصطحبه والده معه و هو صاحب سبع سنين، إلى مدينة عنابة شمال شرق الجزائر، الذي كان تاجرًا بها، وفيها أتم حفظ القرآن، ثم جعل يتردد بينها و بين مسقط رأسه، ولم تنتظم دراسته حتى سنة 1922م.

إذ قرر والده إرساله إلى تونس، فالتحق بمدرسة السلام القرآنية، و بعد سنتين انتقل إلى المدرسة الخلدونية، ثم تحول إلى جامع الزيتونة.([1])

و عن رحلته لطلب العلم في تونس، يحدثنا الشاعر في حوار أجراه معه الصحفي الأديب الجزائري، "بلقاسم بن عبد الله"، فيقول:" زاولت دراستي الابتدائية و الثانوية و العملية بحضارة تونس، منتقلاً بين مدرستين، مدرسة السلام والمدرسة القرآنية الأهلية ، ثم الجامع المعمور "الزيتونة"، و الصادقة، و الخلدونية، و معهد الآداب العليا بالعطارين....".([2])

و لقد أخذ من علماء مدارس عدة، و أهمها جامع الزيتونة، الذي أخذ من علمائها دروس البلاغة و الأصول، و كان خلال ذلك طالبًا ذكيًا نجيبًا، برزت مواهبه الشعرية مبكرًا، و شغف بندوات الشعر و الأدب، التي كان يعقدها الأديب العربي "الكبادي"، كما كان يتلقف ما يصل إلى تونس من مخلات شرقية، تبعث النخوة و الوطنية، فيتشربها و يتخذ مواضيعها مجالاً للتدرب على الإنشاء و الكتابة، نثراً و شعراً، و كان يعرض شعره على أساتذته في البعثة الميزابية بتونس، لتقويمه، حتى انقاد له القريض.

و تعد فترة مكوثه بتونس، مرحلة التكوين الأصيل التي وجهته التوجيه الأدبي و السياسي بعد ذلك، و كان للبيئة الإسلامية الأصيلة التي نشأها و لمصدر ثقافته الدينية

[1] سهام خرفي، المرجع السابق، ص8.
[2] ـ المرجع نفسه، ص 9.

و لما عاينه من استبداد الاستعمار الفرنسي، أكبر الأثر في تشكيل شخصيته الشعرية المتحدية، التي طبعت إنتاجه الأدبي.

و يقول عن محاولته الأولى في قرض الشعر:" بدأت في قرض الشعر سنة 1925م، بقصيدة في رثاء " كبش الفداء " بعيد الأضحى..."

و التي مطلعها:

لهفي على شاة لنا قد قتـــــــــــدت للذبح و هي نقية الأدران([1])

[1]سهام خرفي، المرجع السابق ، ص8.

ب- كفاحه الوطني و القومي:

لما رجع "مفدي زكريا" من تونس إلى الجزائر، و توجه للعمل التجاري إلا أنه لم ينقطع عن مجال الفكر و الأدب، و إن لم يكتب الله له النجاح في المجال التجاري، رغم تقلبه في أنواع من النشاط و انطلاقه في مشاريع عديدة، كان نصيبه فيها الفشل، و كان من رواد الحركة الوطنية التي تبنت مبدأ الاستقلال.

فالتحق بصفوف "جمعية طلبة شمال إفريقيا"، و هو يروى لنا الدوافع التي حذت به إلى الانضمام إلى هذا الحزب.([1])

فيقول :"دفعني حماسي الوطني الجارف، فكاد يلفني الحزب الشيوعي بالجزائر، و لكني اكتشفت بعد جهد جهيد حركة استقلالية سرية تسمى" حزب شمال إفريقيا"...فانخرطت بحماس في حزب النجمة الذي كان يعمل في نطاق سرية خافتة... و قد خرج هذا الحزب من الكتمان إلى الظهور سنة 1937م، باسم حزب الشعب".([2])

و قد كتب "مفدي زكريا" كلمات نشيد مطلعه "فداء الجزائر روحي و مالي" و فيه يندد و يدين بسياسة الاندماج، التي قررها بعض أعضاء الحزب، بعد أن يئسوا من النضال، فتصدى لهم "مفدي زكريا" و سائر السياسيين الوطنيين، الغيورين على بلادهم، و دينهم، و لغتهم، و قد تفاقم النزاع و الصراع بين الفريقين، فزجت السلطة الحاكمة بالشاعر "مفدي زكريا" و رفاقه في السجن يوم 29 أوت 1937م، بتهمة التأمر ضد أمن الدولة، و في عالم الأغلال نظم نشيد "الشهداء".

---

[1]- مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق، ص9.

2- سهام خرفي، المرجع السابق، ص 9

و الذي يقول فيه:

اعصفي يا ريـــــــاح و اقصفي يا رعـــــــود

أثخني يا جـــــــراح احدقي يا قيـــــــــود

نحن قوم أبـــــــاة ليس فينا جبـــــــــان

قد سئمنا الحيـــــــاة في الشقا و الهـــــوان([1])

و في غياهب سجن الحراش بالعاصمة أنشأ المناضلون جريدة " البرلمان الجزائري"، و كان مديرها السيد أحمد بودة ، و رئيس تحريرها "مفدي زكريا" ، و بعد اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية، أفرج عن هؤلاء الثائرين سنة 1939م، غير أن شاعرنا آثر أن يتخذ موقف الحياد، فابتعد عن كل الحركات السرية التي ما تنفك أن تتصارع فيما بينها، و ظل كذلك إلى أن بزغ إلى الوجود حزب " جبهة التحرير الوطني"، الذي قاد الجزائر إلى الاستقلال، بعد ثورة نظمها و حاك خيوط اندلاعها.

و استأنف الشاعر دوره النضالي، ورسالته الوطنية منذ العام الأول لتلك الثورة، فسلّ قلمه ليكتب النشيد الوطني للثورة الذي ردده المجاهدون، في الجبال، و المدنيون في كل مكان و دوّت أصداؤه حتى بلغت المشرق و المغرب، و مازال إلى يومنا هذا نشيد الدولة الجزائرية الرسمي.

و في خضم الحرب التي نشبت بين الجزائريين الأحرار و الجيش الاستعماري الأسطوري، اعتقلت السلطة "مفدي زكريا" مع كثير من السياسيين و الصحفيين و ألقت بهم بين مخالب ظلمات السجون، و قد كان اعتقال الشاعر يوم 12 أفريل 1956م.

[1] المتحف الوطني للمجاهد، أناشيد وطنية، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 2002م، ص 43.

غير أن ذلك لم يثن من عزيمة شاعرنا، ولم يثبط من معنوياته، و لا نال من توهج شاعريته، و تدفقها، بل كان العكس هو الصحيح، إذ ازداد صلابة، و ثورية و توالت قصائده، كالغيث المنهمر، و تسربت إلى خارج السجن، فرددها الشعب، و نشرتها الصحف العربية، فذاع صيتها، حتى بلغت مشارق الأرض و مغاربها.

لقد قضى مفدي زكريا في السجون ما يقارب سبع سنوات متقطعة، ما بين عامي 1937م و 1959م، أما أشعاره فقد استغرقت حياته كلها، فكانت هذه الحياة هي الشعر و الثورة، متعانقين لا يمكن الفصل بينهما، فلهيب شعره لم ينطفئ أبدًا، و ظل متوقدًا إلى ما بعد الاستقلال، فهو مناضل بشعره و شاعر الثورة، و صاحب الدعوة إلى وحدة المغرب العربي خاصة، ووحدة العرب عامة.

و في هذا المضمار كتب قصيدة لازالت ترتل إلى اليوم، سجل بين ثناياها أمنيته، وإيمانه بالوحدة فقال:

أنت ألهمتني و ما زلت طفـــــلاً أيـــــها الشـعر أيـــة التوحيـــد

و تغنيت منـــــذ فجــر شابـــي بالتحام القوى و دعم الجهـــــــود

لم أزل صادحا على كل غصـــن من درى المغرب الكبير العنيـــــد

عاشقًا كل ما به كل من فـــــــيه و من فوقـــه و مـــن باللحـــود([1])

و في الأخير، فقد توفي رحمه الله يوم الأربعاء 02 رمضان 1397ه ، الموافق ل 17 أوت 1977م بتونس العاصمة، و عمره تسعة و ستون عامًا، و نقل جثمانه إلى الجزائر ، و دفن بمسقط رأسه ببني يزقن.([2])

[1]- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987،ص 87.
[2]- مفدي زكريا، تحت ظلال الزيتون، موفم للنشر، منتدى سور الأزيكة، الجزائر ،2007م،ص 8.

1-4- أهم أعماله:

تعددت و تنوعت أعمال "مفدي زكريا"، من شعر و نثر طيلة مسيرته الأدبية و الشعرية، فلم لا؟، و هو الذي يلقب بشاعر الثورة الجزائرية، فقد استحق هذا اللقب عن جدارة و استحقاق، و لا يمكننا إلاّ القيام بمحاولة بسيطة، لذكر أهم أعماله و دواوينه المتعددة في صفحات تلخص إنتاجه الأدبي الرائع، و الزاخر، و المتنوع، نعم إنتاج أدبي غني، و متشبع بجميع الثقافات.

و يمكن اختزال مضمون و معالم شعر "زكريا"، أنه كان شعر قضية، إذ لم يكن في كتابته الشعرية لاهيًا و متسليًا، و لم ينظم مضاهاة و مباهاة، و لكن كان شعره فيض مشاعر، و صدى لأمة ذاقت ألوان العذاب و عرفت أقصى أنواع الاستعمار، إذ احتل الأرض و سعى ليسلب العقل، و القلب، و يمسخ الفكر و اللسان، و يشوه التاريخ، وبذل في سبيل ذلك كل حيلة و اتخذ له ألف وسيلة.

و لكن يقظة الضمير الحرّ، في أبناء الشعب الجزائري، حالت دون تحقيق هذه المطامح، فتضافر العلماء و المصلحون، و الشعراء، و المثقفون، للتحصين الشعب من داء المسخ و الفرنجة، و تركيز هويته و أصالته في تحقيق المراد و بزغ فجر الاستقلال.([1])

و انتظم شعر "مفدي زكريا" في هذا المسار منذ بواكير إنتاجه، واستمر وفيًا لهذا الخط إلى آخر رمق من حياته، و لم تغيره الظروف المتقلبة، و المحن المتتالية، عن هدفه المرسوم، بل ظل يلج بحب الوطن، و يشيد بالأمجاد و القيم، و ينزل بشعره الأصالة و الوطنية، و الوحدة، و يدعوا إلى و حدة العرب و المسلمين، حتى وفاه أجله.

[1] مصطفي بن صالح باجو، المرجع السابق، ص12 .

و يتمثل نتاجه الشعري في الدواوين الآتية:

أ)ـ" ديوان اللهب المقدس" صدر عام 1961م:

يعد "ديوان اللهب المقدس"، أهم و أشهر دواوينه، باعتباره ديوان الثورة التحريرية، فمن وحيها صاغ "مفدي زكريا" الأناشيد و القصائد التي تضمنها، و هو يحظى بمكانة خاصة في الشعر الجزائري المعاصر، و قد ترجمت ديوانه هذا بمشاعر الاعتزاز و الإيثار لأنه نبض قلبه كثائر، و آية عبقريته كشاعر، و قد وصفه بأنه واقع، و تاريخ حرب، و شهد رؤوس الفدائيين تحصد بالمقصلة في ساحة سجن بربروس الرهيب.([1])

و " ديوان اللهب المقدس"، يمثل مرحلة متميزة من حياة الشاعر النضالية، مرحلة انفعل فيها مع الأحداث الثورية، انفعالاً شاعريًا عميقًا، و قد عاش التجربة الثورية في جانبها السياسي الهادئ، و مزية الشاعر في "اللهب المقدس"، أنه عانى الزحف الثوري، بجميع أبعاده، ولذلك استطاع أن يرسم لنا خطوط هذه الأبعاد في إطار شعري أنيق، و مآثر زاخرة بالانفعالات الثورية، المتأهبة، و غير هين، و لا بيسر أن يجمع شاعر ما بين هذه الأشياء جميعًا دون أن يضحى بقدر معين من صناعة الفن الشعري، و من الأناقة.

و قد كان جميلاً من الشاعر، حين تواضع عندما قال:" لم أعن في اللهب القدس بالفن و الصناعة عنايتي بالتعبئة، و تصوير وجه الجزائر الحقيقي، بريشة قلبي غمستها في جراحاته المطلوبة....".

و يضم ديوان " اللهب المقدس" أربعًا و خمسين قصيدة، منها قصائد بعنوان "من أعماق بربروس"، و عشرة أناشيد بعنوان "تسابيح الخلود"، و تسعًا وعشريين قصيدة بعنوان

[1]ـسهام خرفي، المرجع السابق ص 13.

"تنبؤات شاعر"، و ست قصائد بعنوان "فلسطين على الصليب"، و تعد القصيدة الأولى وهي "الذبيح الصاعد" رائعة الديوان، وذروته و إن كانت معظم القصائد الأخرى لألئ من الشعر.

و يقول مفدي زكريا:" إن نظم هذه القصيدة بسجن بربروس في الهزيع الثاني من الليل أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد، نفذ فيه الحكم بالمقصلة، و هو أحمد زبانا، و ذلك ليلة 18 جويلية 1955"([1])

إذ في قصيدته "الذبيح الصاعد"، و هي قصيدة معبرة عن أصالة الشاعر، و ثوريته، و إيمانه بحتمية الثورة في تحطيم واقع الاستعمار.

هام يختال كالمسيح و ئيـــــدا يتهادى نشوان يتلو النشيـــــــدا

باسم الثغر كالملائك أو كالطفل يستقبل الصباح الجديـــــــــدا

شامخًا أنفه جلالا و تيـــــــها رافعًا رأسه يناجي الخلـــــودا

حالمًا كالكليم كلمة المجـــــــد فشد الحبال يبغي الصعـــــودا

و تسامي كالروح في ليلة القدر سلامًا يشع في الكون عيـــــدا

وامتطي مذبح البطولة معراجا ووافي السماء و يرجوا المزيدا

وتعالي مثل المؤذن يتلـــــــو كلمات الهدى و يدعو الرقودا.([2])

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية, الجزائر، 2007، ص 17.
[2] المرجع السابق، ص 14.

و من باب الإنصاف فإن هذه القصيدة تدرج في عداد متوارثات الشعر العربي الحديث، لا في الجزائر فقط، بل في البلدان العربية برمتها، لجلال موضعها ــرثاء الشهيدــ و سمو معانيها و قوة صياغتها، و توافق ألفاظها و جزالة تراكيبها.([1])

كما يشيد الشاعر "مفدي زكريا"، بالنساء الجزائريات اللاتي انضممن إلى جيش التحرير، و ضحين بأنفسهن في سبيل تطهير الأرض من الأعداء الغاصبين.

و لا يمكننا إن نغفل في "ديوانه اللهب المقدس" عن قصيدة "و تكلم الرشاش جل جلاله"، و يقول فيها:

أكباد من...؟ هذي التي تنفطـــــــر؟ و دماء من...؟هذي التي تتقطر؟

و قلوب من...؟هذي التي أنفاســـــها فوق المذابح للسمآ، تتعطـــــر؟

و رؤوس من...؟تلك التي تــرق إلى حبل المشانق، طلقة تتبختـــــر؟

و من الذي...؟ عرض الجزائر شبها من كل شاهقة لظى تتسعـــــــر؟

أجهنم...هذي التي أفواهـــــــــــها من كل فج نقمة تتفجـــــــــر؟؟

أم أرض ربك، زلزلت زلزالـــــــها لما طغى، في أرضه، المستعمر؟

غضب الجزائر ذاك...؟أم أحرارها ذكروا الجراح فأقسموا أن يثأروا؟([2])

[1] سهام خرفي، المرجع السابق، ص14.
[2] مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 115.

فمن ديوان "اللهب المقدس"، الذي يعتبر رائعة من روائعه، ننتقل إلى ديوان آخر، لا يقل أهمية عن اللهب المقدس، و هو "تحت ظلال الزيتون".

ب)ــ" ديوان تحت ظلال الزيتون":

لا يمكننا أن نظيف على الديوان أكثر مما قاله شاعرنا مفدي زكريا :" و ديواني هذا تحت ظلال الزيتون، و وميض من خوالج جياشة، أخلصت فيها لضميري، و عقيدتي، في حبي لهذا البلد الأمين الذي صنع فكري، أيما صنع، و انتزع إعجابي كما امتاز به من خلق، و إبداع و ما فطر عليه من نبل عاطفة، و سمو روح، و نصاعة ضمير".([1])

إن ديوان تحت ظلال الزيتون هو عبارة عن صورة صادقة عن المشاعر النبيلة، نحو تونس، التي ملكت عليه، مشاعر لخصّها، وصاغها هو بطريقته الخاصة، و قد كان يعمل ألف حساب عن كل لفظة أو كلمة قد قالها في ديوانه هذا.

فقد كانت له عدّة انتقادات على هذا الديوان من البعض، إما عن قصد، أو لم يفهموا ما قد قيل في هذا الديوان، و قد رد عليهم فيقول: "قد يعتبره البعض "ذوي العقد"، أو"النفاثين في العقد"، سفرًا لا يعدوا أن يكون ديوان مدح، و بقايا زهور تنشر على الأقدام، و جوابي لهؤلاء و أولئك: أنه كل ما تظنون ــ في كبرياء و اعتزاز ــ ما دمت في(حصانة) من إيماني و إيمان (كلماتي)، و ما دامت نبضات قلبي ترن شاخصة في كل حرف مما قلت و مما سأقول،،، ما دام هذا يجعلني أسمو بمديحي إلى حيز (الوصف الصادق) و أمرّ مرّ الكرام على دنيا (الروتين الباهت) إلى دنيا (الشعراء الناس)،،،([2])

[1] مفدي زكريا، تحت ظلال الزيتون، موفم للنشر،ط2 ،منتدى سور الأزيكة ، الجزائر 2007م، ص9.
[2] المصدر نفسه، ص 9.

و هذا مقطع من مقاطع قصائد "مفدي زكريا" في ديوانه "تحت ظلال الزيتون" يتكلم عن التراب ، إذ يقول :"ذلك التراب الذي أقول فيه"

أرض بها من جمال الله أخيله فهل لها من جنان الخلد أشباه؟

و موطن نتفانى في محبته أو كان يعبد مخلوق،،، عبدناه([1])

و يقول في قصيدة "المارد الأسمر" التي قيلت في مؤتمر الشعوب الإفريقية المنعقد بتونس في 25 جانفي(كانون الثاني)، سنة 1960م، بدار الشغالين.

أصدع رفيعًا، أيها المـــارد و أصعد سريعًا أيها الصاعـــــــــد

وحطم الأغلال، واقذف بها إلى لضى..! يصهر بها الجاحـــــــــد

و سطر استقلال أفريقيـــــا يا أيـــــها ذا المحفل الحاشـــــــــــد!!

و ادفع بها للخلد جياشـــــة يزحف بها، جهادها الخـــــالـــــد.([2])

و عن قصيدة " المغرب العربي أتت جناحه"، تخليدًا للذكرى الرابعة لعيد إستقلال تونس، 30 مارس (أدار) 1956م~1960م، يقول:

في مثل يومك، تكرم الأعيـــــاد وبيوم عيدك، يعذب الإنشاذ

"عشرون مارس" جل يومًا خالدا قد حطمت في فجره الأصفاد

عشرون مارس..أتت أقداس موسم في أمة، فتكت بها الأنكاد

هل في الزمان، أجل من يوم به يقوى الضعيف، و تستقل بلاد؟([3])

[1] مفدي زكريا،المصدر السابق، ص 12.
[2] المصدر نفسه، ص 22.
[3] المصدر نفسه، ص 25.

و في قصيدة "جلالك يا عيد الرئاسة رائع"، يقول:

مصير "بروح الشعب" قرره الشعب و حكم " بعزم الشعب" سطره الرب

و موكب جيل، باركت و ثباتـــــه أماني للشورى، فطار بها الركب!([1])

و هي قصيدة قيلت في مهرجان الذكرى الثالثة لعيد الجمهورية التونسية، يوم 25 جويلية 1960م.

لقد سبق و أن ذكرنا ديوانين ، من بين أربعة دواوين "مفدي زكريا"، وهما "ديوان اللهب المقدس"، و "ديوان تحت ظلال الزيتون"، و الآن سنتطرق لديوان ثالث ألا و هو "ديوان من وحي الأطلس".

ج)ـ "ديوان من وحي الأطلس" 1976:

إن "ديوان من وحي الأطلس" الذي تم طبعه تحت إشراف صاحب الجلالة "الحسن الثاني"، بمناسبة تخليد ذكرى مرور 20 سنة على استقلال المغرب، فالشاعر "مفدي زكريا" يدرك عن كثب أن المناضل العظيم عاش من أجل قضية نبيلة و هي: أن وحدة المغرب العربي، مرحلة حتمية لتحقيق الوحدة الإسلامية الكبرى، إيمانا منه بأن الوحدة حاصلة بين الشعوب، لولا السياسة التي تسيطر عليها الأطماع في بعض الأدمغة، والضعيفة الإيمان.

و الشيء الذي يسترعي الاهتمام قي هذه الملحقة الشعرية الطافحة و الزاخرة بالروائع هو الحضور المستمر في الساحة الوطنية ، ووفاء بالوعد و السير الحثيث في درب المبادئ النضالية الثورية، و المثل العليا الوطنية و الروابط الأخوية الإنسانية، و لقد

[1] مفدي زكريا، المصدر نفسه، ص 27.

استمد وحيه من ما قدمته أقطار المغرب العربي، لعله يكون موحدًا، و هذا هو سبب نضاله .

إن الشاعر "مفدي زكريا" بكل بساطة لا يخفي هيامه، وصبابته بالمملكة المغربية، و ما قطعته من أشواط باهرة، في مجالات التنمية و الرقي و الازدهار و العمران، مما أوحى إليه برائع الأشعار التي تطرب و تمتع.

وعند تصفحنا لديوان "من وحي الأطلس"، نجد أنه قد اقتبس عظمته وإشعاعه من بطل التحرير، و قاهر الأحداث، و الزمن، و ملهم الأجيال "محمد الخامس"، و من أرث سره، ورفيقته في الكفاح، محقق الوحدة الوطنية الكبرى.

و في الأخير نتطرق إلى ديوانه " إلياذة الجزائر"، و هي موضوع بحثنا، أين سنركز عليها في الفصل الثاني، بكل تدقيق، و هذه الأسطر التي ستأتي ما هي إلاّ إشارة بشكل عام لإلياذة الجزائر.

د)ــ "إلياذة الجزائر" 1972م:

كتب شاعر الثورة "مفدي زكريا" رائعته (إلياذة الجزائر)، وألقاها لأول مرّة في جلسات الملتقى السادس للفكر الإسلامي، المنعقد في قصر الأمم بالجزائر العاصمة في شهر جويلية 1972م، و في السنة نفسها صدر نصها ، واحدًا و ستين مقطوعة(61)، تضم ست مائة وأحد عشر بيتًا (611)، و في السنة الموالية 1973م، أظهر نصها الكامل في مائة مقطوعة (100)، تضم ألف بيت و بيت (1001) من الشعر، كتبها الخطاط الأستاذ " عبد المجيد غالب"، و كتب تقديمها المرحوم الأستاذ "مولود قاسم نايت بلقاسم، الذي كان وزيرًا للشؤون الدينية حينئذ، و كانت له مساهمة فعالة في ميلاد الإلياذة، بما كان ينفخ به "مفدي زكريا" من حقائق التاريخ، ليصوغها شعرًا نابضًا بالحياة، بالاستعانة بالمؤرخ التونسي الكبير "عثمان الكعاك"، ثم توالى من بعد صدور طبعات مصورة طبقًا

للأصل سنة 1973م، و ذلك في السنوات (1986م، 1987م، 1992م ،1995م، 2001م، 2002م).([1])

و إلياذة الجزائر هي بعث لتاريخ الجزائر المضيء، و الإشادة به من خلال تلك القصيدة "إلياذة الجزائر"، التي صيغت في قالب الشعر الملحمي.([2])

و يقول مولود قاسم نايت بلقاسم:" و لقد تحمس مفدي لفكرة نضم هذه الإلياذة بمجرد أن تلقى رسالتي في بدأ 1972م، و عبر عن استعداده المطلق لتنفيذها، و تعاوناً نحن الثلاثة المرحومين مفدي زكريا، و عثمان الكعاك و كاتب هذه السطور، في وضع المقاطع التاريخية، فكننا نتهاتف ليلاً، خاصة وكانت البادرة في هذا الهتاف الليلي، تعود غالبًا إلى مفدي الذي كان ينظم الإلياذة ليلاً، و عندما يتوقف عند نقطة تاريخية ما، و يود التأكد و الاطمئنان، يهتف من الرباط"([3]).

أما المناسبة التاريخية التي حدت بالشاعر إلى التعجيل بتأليف "إلياذة الجزائر"، فقد حدثنا عنها المؤرخ الجزائري الأستاذ " مولود قاسم نايت بلقاسم"، قائلاً:"إنه في ختام الملتقى الخامس للفكر الإسلامي، و الذي عقد في مدينة وهران سنة 1971م، أعلن أن الملتقى السادس سينعقد بعاصمة الجزائر، بمناسبة العيد العاشر لاسترجاع الاستقلال و الذكرى الألفية لتأسيس العاصمة....و أن محور هذا المؤتمر الثقافي سيدور حول إعادة كتابة تاريخ الجزائر.... والهدف من هذا المشروع هو معرفة ماضي الجزائر".([4])

[1] مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق، ص 11 .
[2] سهام خرفي، المرجع السابق، ص 23.
[3] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للفنون، ط2، الجزائر 1987م، ص 11.
3- سهام خرفي، المرجع السابق، ص 24

نعم إن إلياذة الجزائر، رائعة من روائع ما ألفه الشاعر الكبير "مفدي زكريا" ، عن وطنه الحبيب الجزائر، بلد المليون و نصف المليون شهيدًا، لذلك فلا يمكننا إنهاء الأسطر التي قيلت عن القصيدة دون التطرق إليها لذلك فقد استهل "مفدي زكريا" الإلياذة بما يلي:

جزائر يا مطلع المعجزات و يا حجة الرّب في الكائنات

و يا بسمة الرّب في أرضه و يا وجهة الضاحك القاسمات

و يا لوحة في سجل الخلو د تموج بها الصور الحالمات

و يا قصة بث فيها الوجود معاني السّمو بروع الحيـــاة

و يا صفحة خط فيها البقآ بنار و نور جهاد الأبـــــاة

و ياللبطولات تغزو الدنا و تلهمها القيم الخـــــالدات.([1])

و أهم ما يمكن ذكره، ونستشفه من الوهلة الأولى عند قراءتنا لإلياذة الجزائر، هو ذلك الفصل بثلاثة شطرات بين مقطع و آخر، و هي تسمى "اللازمة"، و قد جعلها تكرر في نهاية كل مقاطع الإلياذة، و هي:

شغلنا الورى و ملأنا الدّنا

بشعر نرتله كالصـــــلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر([2])

إن التدقيق في الإلياذة و استنطاقها، يدعونا إلى الكثير من الصّبر و التأني و التدقيق، لأن الإلياذة يطغى عليها الطابع الرمزي، و لكن ما يظهر جليًا، و يستشفه

[1] مفدي زكريا، المصدر السابق، ص 19

[2] مفدي زكريا، المصدر نفسه، ص 19.

القارئ من الوهلة الأولي، هو الهتاف باسم الجزائر، و مناجاتها، و الدعاء لها في تحقيق آمالها، و الحرية و السلامة و الرخاء، و هذا ما يظهر جليًا في خاتمته:

بلادي بلادي، الأمان الأمان أغنى علاك، بأي لســــــــان؟

جلالك، تقصر عنه اللغـــــى و يعجزني فيك سحر البيـــــان

و هام بك النّاس، حتى الطغاة و ما احترموا فيك حتى الزمان

و أغريت مستعمريك، فراحوا يهيمون في الشرق بالصولجان.([1])

بعدما تطرقنا إلى دواوين الشاعر المجيد، و الثوري "مفدي زكريا"، فإن أعماله لم تتلخص في دواوينه فحسب، و إنّما هنالك شعر لم يكن مندرجًا ضمن هذه الدواوين.

1-5- من شعر مفدي زكريا:

أ- "النشيد الوطني الجزائري":

بضمه مفدي زكريا في سجن بربروس في الزنزانة رقم(69)، بتاريخ 25 أفريل 1955م، لحنه الملحن المصري "محمد فوزي" .

و كما هو معلوم أنه في بداية 1956م، طلب عبان رمضان من مفدي زكريا كتابة نشيد وطني يعبر عن الثورة الجزائرية و خلال يومين فقط جهز شاعر الثورة الجزائرية " قسمّا بالنازلات الماحقات..." وهو أقوى الأناشيد الوطنية في العالم، و انتقل شاعرنا، و الذي مات منفيًا بالمغرب، إلى تونس لنشره في صفوف جبهة التحرير في العاصمة التونسية قام الموسيقار التونسي علي السرياتي بتلحينه، إلا أن لحن السرياتي لم يكن في مستوى قوة النشيد، و هو ما دفع زكريا، تنفيذاً لأمر عبان رمضان، بنقله معه إلى القاهرة لإعادة تلحينه من جديد، و قد برع الموسيقار " محمد فوزي" قي تلحين النشيد، هدية

[1] مفدي زكريا،المصدر السابق،ص 118.

للشعب الجزائري، و اقتنعت أخيرًا جبهة التحرير باللحن الجديد، و اعتبرته قويًا، و في مستوى النشيد.([1])

و هو الذي كان مطلعه :

قسمًا بالنازلات الماحقات و الدّماء الزّاكيات الطاهرات

و البنوذ اللاّمعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات

نحن ثرنا فحياة أو ممـــات و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا([2])

و لما أبدع في النشيد الوطني الجزائري "قسمًا"، و الدليل فهو النشيد الرسمي للجزائر، و يعتبر من أفضل الأناشيد في العالم كله، و عنده عدّة أناشيد منها أيضا نحن "طلاب الجزائر".

ب- نشيد "نحن طلاب الجزائر":

و نشيد طلاب الجزائر، هو نشيد أهداه الشاعر مفدي زكريا، لإتحاد الطلاب الجزائريين، لأن الطلاب هم آمال الأمة، كلهم تزدهر الأمة و ترقى، و هم الأساس في التطور و الرقي، نعم إن شاعرنا كان يدرك إن الطلاب، لا يقلون أهمية من المجاهدين والجنود، فإذا كان المجاهد يدافع عن الأمة بسلاحه، فإن الطالب بعقله و قلمه، يمتلك الحلول و الأجوبة على عدّة تساؤلات كانت مبهمة، و لقد كان "مفدي زكريا" يحب الشعب الجزائري عامة ،والدور الفعال الذي كان يلعبه الطالب آنذاك، في الوقت الذي كانت جميع

[1] موقع مدونتي، قصة النشيد الوطني، بتاريخ 2014/02/15م عل الساعة 00:35.

[2] المتحف الوطني للمجاهد، أناشيد وطنية، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، الجزائر، 2002م، ص 11.

الأمم و الشعوب تشجع الطلاب و تركز على أهميته و مكانته تجاه وطنه، فنشيد" طلاب الجزائر" يحرك الوجدان، و يخاطب العاطفة و القلب، وهذه بعض الأبيات التي تبين ذلك:

نحن طلاب الجزائر نحن للمجد بناة

نحن آمال الجزائر في الليالي الحالكات

كم غرقنا في دماها و احترقنا في حماها

و عبقنا في سماها بعبير المهجات

نحن طلاب الجزائر نحن للمجد بناة

فخذوا الأرواح منّا واجعلوها لبنات

و اصنعوا منها الجزائر

و خذوا الأفكار عنّا و أعصروا منها الحياة

و ابعثوا منها الجزائر([1])

و بعد النشيد الوطني "قسمًا" ونشيد "نحن طلاب الجزائر"، فإذا كان الأول هو النشيد الرسمي للجمهورية الجزائرية المستقلة، والثاني هو نشيد لطلاب الجزائر، فإن الشاعر "مفدي زكريا" لم ينس رمزا، من رموز السيادة الوطنية وهو "العلم".

ج- "نشيد العلم":

فكل دولة مستقلة لها علم خاص بها، لذلك فإن الشاعر الجزائري "مفدي زكريا" لم يكتفي بعقد العزم على تحرير الجزائر، بل شحذ الهمم، و سجل بدمه رموز الوطن، و كتبها شعرًا، و الكتابة عنده دمًا ليست مجازًا، و لا كناية، إنّما هي حقيقة ، لقد كتب

[1] المتحف الوطني للمجاهد، أناشيد وطنية، المرجع السابق، ص 133.

التحية الرسمية للعلم الجزائري بدمه في سجن بربروس و أهدي القصيدة للحكومة الجزائرية أن ذاك، لدليل قاطع على أن الشعر عنده حقيقة لا مجرد أقوال أو حروف على ورق فقط، فإن كتابته لنشيد العلم بالدماء يعطي للعلم الجزائري قيمته من نوع آخر، فهو رمز من رموز السيادة الوطنية، و أي إساءة للعلم ما هي إلا إساءة لجميع الشعب الجزائري، و في ضوء العلم و، و ما له من قيمة عند الشاعر مفدي زكريا يقول في نشيد " عشت يا علم".

"عشت يا علم"، لمفدي زكريا، تلحين بوعلام منصور

هيا....هيا قفـــــوا و ارفعوا العلم

و أنشدوا، و اهتفوا و اعزفوا النّغم

و اقصفوا المدافع تسمع الأمم

رسالة العلم

أشرق رفيعًا في الحمى

و أخفق عزيزًا مكرما

و أشرق على نهر الدّما

سلما للسما يا علم([1])

[1] المتحف الوطني للمجاهد، أناشيد وطنية، ص 53.

فبعدما كتب نشيد "جيش التحرير" و هو نشيد خاص بالجنود الذين كانوا ينشدونه في المعارك فهو يعطيهم نوع من القوة و الحماس الذي يبعثه في نفوسهم، و ينسيهم مشقة الحرب و يبعدهم عن الخوف و الفزع، كتب أيضًا نشيدًا آخر هذه المرّة ليس خاصّا لا بلعلم و لا بالطلاب و لا بالجنود ، فهو "نشيد الشهداء".

د- "نشيد الشهداء":

نظم بسجن بربروس، في الزنزانة رقم 65، يوم 29 نوفمبر 1937م، و في سنة 1956م،طلبت جبهة التحرير الوطني الجزائرية، من المحكوم عليهم بالإعدام أن يرددوه قبل الصعود للمقصلة.

و بمجرد ترديدهم لهذا النشيد، هنالك قوة جبارة، واحساس غريب يتملكهم، هذه القوة هي قوة و صلابة الذين جعلتهم يتغلبون على المستعمر، و يخرجونه من وطنهم، و الاحساس الغريب، هو احساس لغد أفضل، ولحياة أفضل، بعد الموت و الاستشهاد، و هي الجنة التي تناديهم لذلك، فإن "نشيد الشهداء"، ما هو إلا بوابة للاستشهاد، و ادخال روح العزم فيهم ، و تحريرهم من جميع القيود.

لذلك يقول:

"نشيد الشهداء" مفدي زكريا، تلحين "قويدر بوزيان"

اعصفي يا رياح واقصفي يا رعود

و اثخني يا جراح واحدقي يا قيود

نحن قوم أباة ليس فينا جبان

قد سئمنا الحياة في الشقا و الهوان

لا نمل الكفاح، و لا نمل الجهاد، في سبيل الله

أدخلونا السجون جرعونا المنون

ليس فينا خؤون ينثني أو يهون

أجلدو.....عذبوا.....و اشنقوا....واصلبوا...([1])

[1] المتحف الوطني للمجاهد،أناشيد وطنية، المرجع السابق، ص 43.

الفصل الثاني

أبعاد شعر مفدي زكريا

(دراسة في إلياذة الجزائر)

1ــ دراسة في إلياذة الجزائر :

1ــ1ــ لمحة عن إلياذة الجزائر:

كما سبق و أن أشرنا في الفصل الأول بلمحة عن إلياذة الجزائر ، فما علينا أن نزيد إلا القليل عما كتبنا عن إلياذة "مفدي زكريا"، فهذا لا يعطي إلاّ الشيء القليل عن هذه الإلياذة الحافلة و الزاخرة بكل أنواع الفنون الشعرية و الفنية.

و لقد تطرقنا في الفصل الأول، إلى الأبيات الواردة فيها و المقطوعات المنظومة، فهي تتكون من مئة (100) مقطوعة و لقد اعتبرت إلياذة الجزائر إبداعا فنيًا، يخاطب القلب و الوجدان، بكل ما تحمله من دوافع حماسية و وطنية.

و إن الوقوف قبالة إلياذة الجزائر، هو وقوف حول موهبة شعرية نادرة في عطائها و جمالها، و قدرتها، وإحاطتها الآسرة، كما أنه وقوف أمام مدونة التاريخ الجزائري منذ النقوش الأولى، حتى زمن الاستقلال.

و هي تشمل فيه و به، تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم، مركزًا على مقاومتها لمختلف الاحتلالات الأجنبية، و على العهود الحضارية الزاهرة المتعاقبة، و حاضرنا و مستقبلنا في كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا، و مقومات شخصيتنا، و حصانتنا، بناء مجد جديد لأمتنا.([1])

و هي عبارة عن وقوف أمام معطيات الحياة، و جولان النّاس، و نبهة العقول، و الأدوار الاجتماعية التي اقتضتها معطيات الحضارة المنددة مع الآخرين بشرًا، و بلدانًا.

و لعل الأهم هو أن الإلياذة ، إلياذة الجزائر، منذ استهلالها حتى خاتمتها، هي نص ابداعي مكتوب بحب عظيم، و رغبة وطنية شديدة الاندفاع و الحماسة، و موهبة خارقة جعلت

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 9.

الشعر يقلب التاريخ، و الأحداث، و الجروح، و الأمنيات، و المآسي، و حالات الفقد و الغياب، و الجمال، مثلما تقلب البساتين مواسمها.

و المطلع الافتتاحي المركب للإلياذة، يشير إلى كل هذا، عبر هتاف روحي عال و أشواق سامية، و انعطافة تشمل الأكوان الثلاثة(العلوي، و الأرضي، و السفلي)، اجتماعا حول النّاس، العمل، و التاريخ، و المعنى، و المآلات البعيدة، و المطلع الفريد الجرئ مثل نهر دفوق، يستظهر مرّات و مرّات، وهو يزاوج بين فطرة الطبيعة، و ابداعها و جمالها، التي خص بها الجزائر، و بين ما صنعه الصانع الجزائري كي تصير الجزائر لوحة سحر, و جمال، و جنان ، و كتاب للمعاني الخالدات.

و هذا لخير دليل عن سحر و جمال و روعة الوطن، بتصوير الصانع و الفنان، و الرسام و الشاعر "مفدي زكريا":

جزائر يا بدعة الفاطـــــــــــر و يا روعة الصانع القـــــادر

و يا بابل السحر، من وحيـــــها تـــلقـــب هاروت بالسّـــاحـــر

و يا جنة غار منها الجنـــــــان و أشغله الغيب بالحاضـــــــر

و يا لجة يستبحر الجمـــــــــال و يسبح من موجها الكافـــــر

و يا و مضة الحب في خاطري و اشراقة الوحي للشاعـــــر

و يا ثورة خار فيها الزمـــــــان و في شعبها الهادى الثائـــــر

و يا و حدة صهرتها الخطـــوب فقامت على دمها الفائـــــــر.([1])

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 20.

ثم تتكرر المطالع لتصير مطالع الآنا الروح الوجدانية، انشقت على المعاني ،فانشغلت بها، انفجارًا أن تقدم الحادثات، التواريخ ، و صورت البطولات، و المواجهات، و قبل أن تقف على صفوف الدّم الزكي الذي مرّ بالمدن و القرى و البقاع و الأودية و الكهوف و الجبال و الدروب و الغابات....

إنّها المطالع النادهة للنفوس النبيلة، كي تتقدم فتعرف المعجزة الجزائرية، التي افتكت التاريخ ، و الأرض، و اللغة، و النّاس، و القيم، و المعاني من قبضة الظلم و الأذيات.

1ــ2ــ أقسام إلياذة الجزائر:

إن إلياذة الجزائر بوصفها لوحة فنية و جمالية خارقة للعادة، وهي أسطورة تحكي بكل دقة و جمال عن تاريخ الجزائر، الزاحف و الحافل منذ الوهلة الأولى إلى غاية الاستقلال و باجتماع مختلف الدراسات على الإلياذة فهناك من يقسمها إلى قسمين، و هناك من يلخصها في ثلاثة (03)أقسام و هي:

أ)ــ قسم الجمال الطبيعي:

الذي احتفى بالطبيعة الجزائرية الساحرة ، و الزاخرة، و كل ما تملكه من تنوع في الأقاليم، و كذا الثورات الطبيعية ، هذا ما يجعلها تترك في النفس رضًا، و اطمئناناً، و إنشادا إليها، و هي حال التوأمة و المآخات، التي عاشها المكان الجزائري، و عرفها من خلال اتحاده و تعالقه و استئناسه بالروح البشرية الجزائرية، عبر تبادلية صار فيها المكان ، بسبب معروفيته و جماله، مناسًا للإنسان، و صار الإنسان بسبب شغله و شغفه مناسا للمكان.

إذًا فهي معادلة يكون فيها الإنسان، و الطبيعة، بحاجة إلى بعضهما، فلا وجود للواحد دون الآخر، و أي غياب لواحد يؤدي إلى اختلال، و قد خص الشاعر تسعة عشرة مقطعًا(19)، بين فيها جمال طبيعة الجزائر، و عمرانها، و هنا بعض المقاطع التي تبين سحر الجزائر حيث يقول:

جــزائــر يا لحكايــة حبــي و يا من حملت السلام لقلبي

و يا من سكبت الجمال بروحي و يا من أشعت الضياء بدربي

فلولا جمالك ما صح دينـــــي و ما ان عرفت الطريق لربي..!([1])

و قد اختتم المقطع الأخير الذي خصه لجمال الجزائر، وروعة عمرانها في نداء النّاس، و الافتخار و الاعتزاز بجمال الجزائر ، زينة البلدان، و قيمتها تجاهه، وافتخاره بها، و كونه منتميا إليها، و لخص حبه، و تلك القيمة التي تكمن فيه، في هذه الأبيات.

حيث يقول فيها:

فيا أيها النّاس...هذي بلادي و معبد حبي، و حلم فؤادي

و ايمان قلبي، و خالص ديني و ميناه...في ملتي...و اعتقادي

بلادي أحبك، فوق الظنــون.و أشــد بحبــك، فـــــي كــل نــادي

عــشت لأجــلــك كــل جــميــل و همــت لأجــلك فــي كــل واد...([2])

و قد تأثر الكثير من الفنانين بهذا المقطع ، و تغنوا به، وفي مقدمتهم المرحومة، الفنانة الجزائرية " وردة الجزائرية"، وهذا لخير دليل على عظمة هذه المقاطع، و بالتالي عظمة الجزائر.

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 21.
[2] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر،المصدر نفسه ،ص37

ب)ــ قسم المعاني و الجلال:

و قد خص القسم الثاني في إلياذة الجزائر، أي قسم المعاني و الجلال، في تصوير المجد التاريخي ، فكانت بحق شهادة جديدة للتاريخ الجزائري، بما تخلله من انتصارات و انعكاسات، و آلام و آمال، و إذا كان التاريخ هو عقل الأمة كما يقولون فإن صياغة شعر يثرى وجدانها و روحها.([1])

إذن فقد استحوذ على التواريخ الجزائرية البيض، التي حبرت معانيها أرواح طاهرة، و هي وقفات وطنية، و المجابهات العنيدة، كبطل المكان التاريخي، بوصفه وطنيًا، نقيًا طاهرًا، و هي تظل الروح الجزائرية بوصفها الوعي و الذاكرة، عامرة بالوطنية الحقة.

و قد عمد الشاعر إلى إستدعاء عنصر التاريخ القديم ، و ذكرًا لمختلف الحضارات القديمة، لدلالة على أصالة العنصر الجزائري و أحقيته بهذه الأرض التي لم تكن يومًا لسواه، كما يتغنى بعنصر التاريخ تعبئة للإنسان الجزائري، و ربطه بمثل التضحية و رموزه التاريخيين.

[1] سهام خرفي، المرجع السابق، ص 25.

و يقول في مثل هذا الصدر و ذلك في المقطع التالي:

دعوا ماسينيسا يردد صدانـــا ذروه يخلد زكى دمانـــــــــــــا

و خلوا سفاكس يحكي لروما مدى الدّهر كيف كسبنا الرهانـــــا

و كيف غدا ظافرًا ماسينيسا حزامة لم يرض فيها الهوانـــــــا

و كم ساوموه، فثار إبـــــاء و أقسم أن يعيش جبانـــــــــــا

و ألهمه الحبّ نيل المعـــالي و قد كان ــ مثلي ــ يهوى الحسانا..([1])

فماسينيسا، و يوغرطا، وسيفاكس، رموز الحضارة الأمازيغية، و هي رموز للكفاح من أجل الهوية، التي تحظي بقيمة ذات وجود أزلي، منذ الحضارات القديمة، إلى غاية يومنا هذا، فهو يذكرنا بمختلف التواريخ التي مرّت عليها الجزائر، ووقفات تاريخية نابغة من الوطنية، و الحب الذي تحظى به الجزائر، و التي كانت و لا تزال عامرة بالوعي و الذاكرة، فقد شبه الشاعر الثورة الجزائرية بالثورات الأمازيغية، فعمد على تشبيه الليلة بالبارحة، و أن المجد و التضحية ورثناها كابرًا عن كابر، فلا غرو، فهذا الشبل الذي يقارع الاحتلال الفرنسي ، من ذلك الأسد، و أن البطولات ليست شيئًا جديدًا عليه.

ثم يعرج بعد الحديث عن التاريخ القديم، على تاريخ الفتح فيرصد أعمال أبناء العمومة، وتحديدًا في شخص "عقبة إبن نافع"، و ما قام به من تنوير العقول، و إعلاء الصوامع، وبناء الحصون، ليربط ملاحم الشهادة و قوافل البطولات، بأمجاد "سعد، وخالد، و حطين"، ثم يدلف على ذكر التاريخ القريب ، تاريخ " إبن رستم، و زيري، و المعز لدين الله الفاطمي، و إبن الأغلب"، فلم ينس ما قام به أجدادنا ، في مؤازرة الأتراك ضد الصليب الحقود، كوننا أناس نعد الجميل، و نرعى ذمام الصديق الودود.

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 39..

و بعد ذلك يعرج على تاريخ المقاومة الجهادية، منذ الاحتلال الفرنسي، ممثلة في جليل أعمال "أحمد باي"، و "الأمير عبد القادر"، و " فاطمة نسومر".....و "الزعاطشة" و " المقراني" و"الحداد".([1])

و مثال على ذلك، يقول: عن الأمير عبد القادر

أيا عبد القادر....كنت القديـــر و كان النضال طويلاً عسيرا

شرعت الجهاد، فلباك شعـــب و ناجاك ربّ، فكان النصيرا

و نظمت جيشًا، و سميت بلادًا فكنت الأمير الخبير الخطيرا

و الهبت في التابعين الحنـــايا و أيقظت في الخائفين الضميرا[2]

ج)ــ قسم الحضارة:

و تختم أقسام إلياذة الجزائر، بقسم الحضارة ، التي أبدى مشغولية الذات الجزائرية، موطنها مكانًا، و تاريخًا، مستقبلاً منددا مع الشعوب الآخر، و معطياتها الحضارية، ففي هذا القسم تبدي الأيدي الجزائرية العاملة، و قد تعاضدت عطاء و تفانيًا، عبر كرّ الأزمنة و تتاليها، كما تنادي العقول الجزائرية و هي في اشتقاقاتها البكر، التي دونتها أجندات أعمال الزراعة و التجارة، و العلوم، و الفنون.

و لعل الحضارة هي التي تميز كل أمة، و الاستنجاد بها سبيل إلى الرقي و الازدهار، فكل هذا لا يخفى على شاعرنا "مفدي زكريا"، و هو أجدر بنا علمًا بالدور الفتاك الذي تلعبه الحضارة، و بما أن الجزائر كلها حضارة، فكيف يغفل ذكرها و التغني بها، فكل من يقف أمام إلياذة الجزائر، يستحضرها ، يسترجع ذكريات الماضي، ويعيد صياغتها لتعود دافعًا

[1] محمد زغوان، المكون القيمي الراتب في ثقافة المقاومة الجزائرية لإلياذة الجزائر، نموذج مجلة العلوم الإجتماعية، الجزائر الكازغ، ص 4.

[2] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 55.

نحو الأمام، و نحن نعرف أن الشعب الجزائري قد حاول مسايرة الشعوب الأخرى في كل الميادين، و هو في أول عطائه، فقد لخص لنا جميع الجهود أقيمت ، واشتقت، و اتصلت بالحضارة .

حيث يقول في هذا الصدد:

و إن بلادًا تصدر فكـــــرًا و كانت تصدر فن الجهـــــــاد!

جرى بها أن تروع الزمـــا ن ، و تفخر بالمجد في كل نادي!

و لولا التنقل يذكي شعوري و يرهف حسي، و يبلور شـــادي

لغاص معيني، و أجبل فكري و عشت بليدًا كبعض العبـــــاد.([1])

إذن فإن إلياذة الجزائر تتكون من ثلاثة (03) أقسام، وهي قسم الجمال، ثم قسم المعاني و الجلال، أخيرًا قسم الحضارة، و بهذه الأقسام الثلاثة ، بدت إلياذة الجزائر أهم و أجمل و أوفى سيرة تاريخية لعطاء أهل الجزائر، منذ فجر التاريخ و العمران، و حتى زمن الاستقلال، وذلك لأن هذه السيرة اشتملت على تشريح دقيق لخصائص الشخصية الجزائرية، و هي في حراكها المتمثل في الممكن و المألوف معًا، كما اشتملت على النقوش العمرانية الجزائرية التي استأنست البحار و الجبال و الوهاد و الأودية و الصحراء ، و يضاف ذلك أمر شديد العتمة و الجهل و التخلف بنورية العلم و الفن.

و الأهمية هو أن إلياذة مفدي زكريا تتماشى مع الألم الجزائري الذي نزف طوال قرن و نصف قرن من الزمن، في كل سطر من سطورها، ووعى مفدي زكريا على أن الأرض لا تزرع إلا بعدما تشقها سكة المحراث، و إن الجرح لا يسمى جرحًا إلا إذا نزف و بانت حمرة دمه.

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 117.

ولئن كانت إلياذة الجزائر مشحونة بالكثير من الرموز الثقافية، فإن المحرك الرئيسي و الأساسي في نظم الإلياذة، هو الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر، فالإلياذة تبلغ ألف بيت و بيت (1001)، و إن عمر مدينة الجزائر في دلك الوقت، ألف عام و عام، وهذا الرقم في حدّ ذاته له دلالة تراثية تعبر عن بلوغ حضاري و ثقافي معين.

و كذا بنية الإلياذة تتوزع بالشكل التالي:

ــ طبيعة الجزائر و عمرانها، تسعة عشر مقطعًا (19).

ــ تاريخ الجزائر القديم، ما قبل الاحتلال، خمسة عشر مقطعًا (15).

ــ مقاومة المستعمر منذ الاحتلال، ستة عشر مقطعًا (16).

ــ الثورة المسلحة، خمسة عشر مقطعًا (15).

ــ ثورة البناء و استرجاع الشخصية، خمسة و ثلاثين مقطعًا (35).

1ــ3ــ خصائص شعر مفدي زكريا:

إن كل فنان، أديبًا كان أو شاعرًا، له خصائص تميزه عن غيره، ويظهر ذلك جليًا من خلال قراءتنا لأشعاره أو كتبه، فهذه الميزة هي التي تجعله يتميز عن غيره، فكل شاعر يختار الطريق أو المنهج الذي يسلكه في نظم شعره.

و الشاعر المتمكن هو الذي يستطيع أن يعرف قدراته الشعرية و الثقافية ، وحتى الدينية حتى لا يتخطاها، و يدخل في دائرة الخطأ، بذلك فإن شاعر الثورة الجزائرية المرحوم "مفدي زكريا"، له خصائص تميزه عن غيره من الشعراء في نظم شعره، و لعل السمة البارزة في شعر "مفدي زكريا"، هي الصدق الشعري.([1])

[1] مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق، ص 7.

لأنه في صدد ذكر الواقع المرير و ظلم و بطش الاستعمار المستبد لثروات الجزائريين و أراضيهم و هو في ذلك يواكب الثورة التحريرية، و كذلك الاستعمار، فيحتاج في ذلك إلى كل الصدق في تصويره للواقع، و لإيصال أثره إلى الشعب عامة، و كذلك شعره بأثر المعاناة الشعورية، السجون و التعذيب، و محنة الشعب الجزائري في ظل الاحتلال. ([1])

و يمكن الإشارة إلى خصائص شعر مفدي زكريا في النقاط التالية:

أ)ـ شعر أصيل حتى النخاع:

إن شعر مفدي زكريا من بدايته حتى نهايته في كل دواوينه و قصائده الشعرية، و حتى أناشيده، و كل ما قيل و كتب، سواء من فمه أو بيده، يعتبر أصيل، و نابع من أصالة المواطن و المكافح الجزائري، الذي رغم الاستعمار و كل الأساليب التي قيمت من أجل طمس الهوية الوطنية، وجعل كل ما هو جزائري تابع لفرنسا، إلا أن الكثير و في مقدمتهم " مفدي زكريا" ضل وفيّ لتقاليده وعاداته، و كذلك جزائريته، فابن غرداية رغم دهر الزمن.

فقد ذكر الأمازيغ في الإلياذة ، و هم رمز للأصالة الجزائرية، من سيفاكس إلى يوغرطا ثم مسينيسا، فكل هذا مستمد من الأصالة.

[1] مصطفى بن صالح باجو، المرجع السابق، ص 10.

و يقول في هذا الصدد في إلياذة الجزائر:

و خاض الأمازيغ مناخ الفدا تباركهم صلـــــوات الجـــــدود

و آزرنا الترك حتى انتصرنا و لم يحفر الترك ماضي العهود

و قمنا نسوس البلاد بعـــــدل ونسدي الجميل و نرعى الحدود

و لم نك للترك بالتابعيـــــــن و إن عززوا سعينا بالجهود.([1])

فمن الأمازيغ نعطي مثال عن دولة، فقد تحدث عن سيرتا، و هي قسنطينة حاليًا، ثم القصبة التي تعتبر من بين أحد رموز الأصالة الجزائرية، و يقول في هذا الصدد:

سجا الليل في القصبة الرابضة فأيقظ أسرارها الغامضة

بين الدروب، و بين الثنايا عفاريت، مانجة راكضه

و ملء سراديبها الكافرات تصاغ قراراتنا الرافضه([2])

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق ، ص 52.
[2] المصدر نفسه، ص 27.

ب)ــ شعر صادق:

شعر صادق لأنه نابع من تجربة شعورية، و معاناة قاسية ، إن أشعار مفدي زكريا تتسم بالصدق، وذلك لمدى تجربته الشعورية، ومدى نضاله، و معاناته من بطش الاستعمار ، و كل ما لقاه من معاناة طوال مسيرته الأدبية، و النضالية ، وأيامه القاسية في السجون، ونظرته تجاه الشعب الجزائري لذلك الواقع المرير الذي يتعايشه طوال أيام الاحتلال.

إذا كان الشعر هو تصوير دقيق للواقع دون زيادة أو نقصان، فإن "مفدي زكريا "قد أدى هذه الرسالة بصدق شعره، أمانة كان يجب عليه أن يوصلها إلى الشعب كما هي، و أي غلطة منه تؤدي إلى تحريف التاريخ، التاريخ النضالي الذي كان الكنز الوحيد و الصادق، و في سبيل تحقيق كل هذا يظهر لنا اتجاهًا آخر، من خلال معاناته بين قضبان السجون، لما اعترضه من رفض من قبل المستعمر، لكن كل هذا لم يزده إلاّ عزيمة، و رغبة، و إصرار، في أداء هذه الأمانة.

إذن فإن الصدق سمة غالبة في إلياذته، و تظهر جليًا في طياتها، و بين أسطر أشعاره ، الصدق في تصوير الأحداث التاريخية.

و هذه الأبيات لخير دليل على أن إلياذة الجزائر تمتاز عن غيرها، بكونها و صف لحقائق، وتسجيلاً لوقائع، مع التحذير من مغبات و قعت فيها أمم في قمة التقدّم.

حيث يقول:

وران على البعض حمق و جهل و أغرقهم في السخافات وحل

و قالوا، قصيدك شعر قديـــم يكبّله بالتفاعيل غـــــــــلّ

و ما حيلتي..إن يكن شعرهـــم دخيلا..وشعري يزكيه أصل؟؟

و إن يك شعر الخنافيس خنثى! فشعري صريح الرجولة فحل!

و قالوا مدحت به الحاكميـــــن و مدح ذوي الحكم يحفوه عقــل

و لو إنصف العتم قالوا وصفت ووصف البطولات فضل و عدل!

و لن ينكر المجد إلا الجبـــــان و لن يجحذ الفضل إلا العتــل!!

و قالوا: انحرفت بإليـــــــــادة تلوم الشباب، و مثلك يعلـــــو

هوميروس أرّخ...لم ينتـــــــقد و شهامة الفرس بالوصف تغلو

فقلت و شعر الخرافات يفنـــى! و شعر البطولات لا يضمحل!![1]

ج)ــ مستمد من التراث الإسلامي :

فشعر مفدي زكريا، مستمد من التراث الإسلامي، ومشبع بقيمه و مثله و تاريخه و عظمائه، فهو متشبع بالدين الإسلامي و حافظ للقرآن الكريم، و العقيدة الإسلامية، و متأثر بمختلف البطولات و الفتوحات الإسلامية، و مدى العزيمة و الإرادة في السعي إلى نشر الدين الإسلامي و مبادئه، و اعتباره أن الاستشهاد في سبيل الله، أولوية قبل الحياة، و كون مفدي زكريا خريج زاوية، فهو متأثر بتعاليم الدين الإسلامي و متشبع بقيمه، وما أتي فيه من قصص لرسل و الأنبياء، فقد كان شديد التأثر بهم، و كل أتباعهم.

إن كل من يكون له أدنى دراية ، بما كان تأثر "مفدي زكريا"، يستنتج احساسه تجاه الدين و عظمائه، و إن قضية الاستئناس بهم لم تظهر فقط في دواوينه، بل في حياته العملية.

ولكن إلياذة الجزائر، تحمل نوعًا آخر و خاصًا من شدّة تأثره، ويتضح ذلك من خلال تأثره بغزوات المسلمين، و هاهو يتغنى بغزوة بدر و كذلك التأثر بعظمائها و يظهر ذلك جليا

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر،المصدر السابق، ص 116.

من خلال خالد بن الوليد الذي يعتبر سيف الله المسلول و آخرين من خلال قوله في إلياذة الجزائر:

و جندت من خالد بن الوليد و سعد بن وقاص أبطاليه

و جندت حطين في موطني و خلدت أمجاد أنطاكيـــه

و جل الفدا بالملايين شرفت الخلد، في رفرف العاليه

و في كل شبر لنا لوحـــــة مشاهدها المهج القانيـــــه([1])

د- رائع في رسم الصورة الشعرية الحية المؤثرة:

إن الشعر على غرار النثر، و غيره من الفنون الأخرى، هو خلاق للقواعد المألوفة و هو عبارة عن انزياح و خروج عن المألوف، و السباحة في بحر الخيال في إطار الواقع المعاش، و تصويره على الطريقة التي يريدها الشاعر، فإن مفدي زكريا، و برجوع إلى الثقافة الواسعة المكتسبة فهو قادر على تصوير أي مشهد، أو صورة بطريقة من الجمال.

و إن تصوير الصورة الحية بدقة و إتقان هو الطريق و السبيل إلى دخولها إلى القلب دون استئذان، لذلك فإن مفدي زكريا قد أبدع في تصوير الصورة الشعرية سواءً أكانت تجربة ذاتية أو عن تجربة كان يود الاستشهاد بها لان كل الأحداث سواء المتعلقة بالثورة التحريرية أو عن التجربة الشخصية لها هدف و مغزى مشترك ألاّ و هو توعية الناس، فهو يصور بإخلاص عميق قضية الجزائر، و بطولة أبنائها، فشعر أصيل به صلة الرحم بين المعاني و الألفاظ و المقاطع بدرجة أنه أصبح جزءا لا يتجزأ من الثورة و لسانه الناطق

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 85.

بأسلوب بليغ، فحين يصف المجاهدين، و يتحدث عن مآثرهم و أعمالهم و بطولاتهم يشيد بسجايا و مميزات تجعله فوق كل البشر.

و الجزائر عنده، قطعة قدسية و لقد أحب مفدي زكريا وطنه لدرجة العبادة و أطنب في النهل من لغة الوحي، فارتقى شعره إلى مرتبة دماء الشهداء الذين امتزجت دمائهم الزكية محبر أقلامهم الطاهرة الشهداء الذين بقوا في كتمان التاريخ، أمانة في أعناق الباحثين ليقضوا غبار النعيم عليها، حتى تظل الجذور متواصلة و حب الوطن مورقة و هنا يصور لنا جمال المناخ الجبلي لغابة بينام و سحرها فيقول في إلياذة الجزائر:

عرجنا ننافخ، باينام ضحًا كأنا اعتصبنا لها مان صرحا

نسائل أشجاره الفارعـــات حديث النجوم، فتبدع شرحـــا

و يلتف ساق بساق، فنصبو فيغمرنا ملتقى الفكر نصحـــا !

كأن عمالق باينام جمـــــع بباريس، يبني لفيتنام صلحا !([1])

و- بارع في الاقتباس و التضمين سواء المفردات أو الأحداث من القرآن أو التاريخ:

لقد تميز مفدي زكريا في الاقتباس من القرآن الكريم. و التاريخ القديم للجزائر في العصور الأولى، و لقد كان القرآن منبعه الروحي و الوحداني، و لقد عرف كيف تستعمل و نطاق كل اقتباس من القرآن الكريم و ذلك كما توحي إليه وما تشرك فيه مع التاريخ الجزائري، المقاومة الجزائرية، و لقد أحسن في توظيف الرموز إما الرموز الإسلامية، أو الرموز التاريخية و الأعلام الامازيغية. و نقطة إشراكها مع أهم الأحداث الوطنية. و هي دافع و حافز لقداسة التراث و هنا يظهر لنا ذكاء الشاعر من خلال ربطه لجميع الأحداث من أجل صورة شعرية ملحة للمعاني، لان الاستشهاد بالقرآن هو في حد ذاته أمر لا يحتاج إلى

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق،، ص 26.

نقاش. بينما التاريخ هو حقبة مضت من تاريخ الجزائر و شيء خاص بها، و يجب دائما الاستشهاد به، و حسن اختيار المفردات سواء من القرآن أو من التاريخ، فهي ألفاظ توحي إلى كل صفات الجزائر و أمجدها.

و الملفت للنظر أن كل اقتباس من القرآن أو الاستشهاد من التاريخ له دور في الإلياذة خاصة فهي متصلة بالمعنى المراد إيضاحه. فمثلا شبه أول نوفمبر و التي اندلع فيها الكفاح التحريري المسلح، بليلة القدر و المعروفة أنها أحسن من ألف شهر إذ يقول:

تأذن ربك ليلة القـــــــــــدر و ألقى الستار على ألف شهر

و قال له الشعب، أمرك ربـــي و قال له الرب، أمرك أمري !!

و دان القصاص فرنسا العجوز، بما اجترحت من خداع و مكـــــر

و لعلع صوت الرصاص يدوي فعاف اليراع خرافات حبـــــر! ([1])

و يظهر التضمين و الاقتباس أن ليلة القدر هي ليلة السابع و العشرين (27) من رمضان، هي ليلة تنزل فيها الملائكة و الروح، أما في الإلياذة، فإنه يقصد ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 لقيمة عظمتها.

ه- الدعوة إلى الوحدة الكبرى:

تشكل قضية الوحدة الكبرى مركزا محوريا في فكر و شعر " مفدي زكريا" و قد ظل ينادي بها و يتغنى بها، في إصرار متواصل منذ بواكر إنتاجه الشعري و ظل وفيا لهذا المبدأ الذي اعتنقه و دافع عنه في كل مناسبة، و جسده بنشاطه العلمي من توطنه ببلدان المغرب العربي، تونس، الجزائر و المغرب حتى أخر حياته و يعتقد أن توحيد الصف كان السبب

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 69.

الرئيسي لتحقيق استقلال الوطن، و لذا كان يدعو للتمسك به، كل من أراد النجاح و يشيد بوحدة الأمة العربية، الذي تجمعه عوامل الدين و اللسان و التاريخ.

و في الإلياذة خصص مقطع لأهمية هذه الوحدة الغالية يقول فيه:

تماوج في فاس رجع الصدى من القرويين يغزوا المدى

يساجل زيتونة للســـــــلام مباركة فتلبي النـــــــدا

هو المغرب الأكبر المستمد رسالاته من رسول الهـــــــدى

و وحدة مغربنا اليوم خطـــو إلى وحدة المسلمين غـــــدا

بتوحيد بعض، نوحد كـــــلا و هل ينكر الخبر المبتـــدأ؟

فربما كان مغربنـــــــــــا مثالا قويما، به يقتـــــدى !

و إن سلك العرب في أمرهم سواء السّبيل، مددنا اليـــدا !

و قمنا بأرواحنا نفتـــــــــد يهم، و نحن الألى أخلصوا للفدا([1])

1-4- أسلوب مفدي زكريا:

يعتبر مفدي زكريا، من بين الشعراء الجزائريين الذين عاشوا و عايشوا الثورة الجزائرية، لذلك فقد كانت القضية الوطنية همهم الأول و الوحيد و الاستقلال الذي كان حلم كل الشعب الجزائري، فهو كان يقدر كل من يحلم و يحمل و يؤمن بالاستقلال، لذلك فإن مفدي زكريا كان بمثابة المرشد لما له من دراية، بأن الجزائر سوف تكون مستقلة، فقد كان قوي الشخصية و مرهف الحس، له همة عالية سباق إلى كل مبادرة لصالح الوطن، و رافض لكل ما يحطم البلاد. حيث كان القلم سلاحه و الحبر زاده، فهو قد قاوم الاستعمار

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 92

الفرنسي بيده، فكان يرد على دبابات المستعمر و رشاشاته، فواكب مفدي زكريا مسيرة الجهاد يعينه يهتف لها، و ينظم لها القصائد و الأناشيد.

فهو لا يفرق بين أفراد الشعب الجزائري، العربي عامة. و لعلنا نختم ذلك بكلمة قالها مفدي زكريا:

"كل مسلم بشمال إفريقيا، يؤمن بالله و رسوله و وحد شماله هو أخي، و قسيم روحي، فلا أفرق بين تونسي و جزائري و مغربي، وبين مالكي و حنيفي وشافعي و إباضي و حنبلي، و لا بين عربي و قبائلي، ولا بين مدني و قروي، ولا بين حضري و آفاقي، بل كلهم إخواني أحبهم و احترمهم و أدافع عنهم ما داموا يعملون لله و الوطن، و إذا خالفت هذا المبدأ فإنني أعتبر نفسي أعظم خائن لدينه و وطنه"([1])

إن هذه الكلمة لدليل قاطع على أن مفدي زكريا يخاطب كل الأمة العربية دون سواه. إن القضية الوطنية يريد أن تكون قضية كل الأجيال، و إن الاقتداء بها وجب على كل الأجناس.

1-5- بعض المناضلين و الشهداء الذين تطرق إليهم في الإلياذة:

- **علي لابوانت:** الشهيد الذي حاصره بيجار مع جمع من الفدائيين في معقل من معاقل القصبة، و وجه إليه نداء من وراء الجدار للاستسلام، تلقاء تعهدات و إغراءات، فرفض و ظل يقاوم إلى آخر رمق هو و أعضاؤه، فاستشهد تحت أنقاض البيت الذي اعتصم به، بعد أن نسفه الجند الفرنسي بأمر من بيجار.([2])
- **سوسطال:** وال فرنسا على الجزائر اشترى ضميره الغلاة فأصبح رائدهم الأحمق.([3])

[1] مؤسسة مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم و قصائد اخرى، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر ، الجزائر، 2012، ص328.
[2] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق ، ص11.
[3] المصدر نفسه، ص 12.

- **مسينيسا:** ابن عبد المالك الامازيغي ولد سنة 238 قبل المسيح.([1])
- **تاكفريناس:** ثائر امازيغي جزائري على عهد الامبراطور الروماني تيبيريوس.([2])
- **عبد الجبار بن حميديش** شاعر بجاية الجبار.([3])

أشار لإقلاع فرحات عباس عن تساؤلاته اعترافا بالحق و الرجوع إلى الحق فضيلة.

- إلياذة الجزائر حافلة فمن الشهداء إبتداءا بعلي لابوانت إلى رموز الثقافة الامازيغية و أشهر أعلامهم و الذين دعوا إلى الانقلاب فكلهم محصورون في إلياذة الجزائر ليدل مرة أخرى إلى ثراء الإلياذة من جهة و مفدي زكريا من جهة أخرى.

بعض المصطلحات التي تدل على الوطنية و أنه عريف للمناطق و الثقافة الجزائرية:

- **غابة بينام:** أجمل مناخ جبلي في صدر عاصمة الجزائر يوحي بالعظمة و الشموخ.([4])
- **حمام ملوان:** مياه معدنية متفجرة بين الجبال الممتدة إلى شريعة و ليزال محطة للتداوي.([5])
- **حمام ريغة:** حمام معدني في سفاح جبال زكار بين مليانة و البليدةيمتاز بروعة مناظره.([6])
- **شريعة:** يبعد 5 ميلا عن عاصمة الجزائر.([7])
- **طولقة:** عروس الزاب مشهورة بوفرة نخيلها و منطقة متواجدة في بسكرة و معروفة بالجودة العالية للزاب.

المغيّر التي تقع في طريق بسكرة و هي وفيرة بالنخل و الثمار.

---

[1] المصدر نفسه، ص 23.
[2] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 24.
[3] المصدر نفسه، ص 33.
[4] المصدر نفسه، ص10.
[5] المصدر نفسه، ص 13
[6] المصدر نفسه، ص 14.
[7] المصدر نفسه، ص5.

إذن فإن التنوع في المعرفة لدى مفدي زكريا من خلال التطرق لمختلف المناطق الجزائرية، فمن وسط الجزائر العاصمة إلى منطقة القبائل إلى الصحراء الشاسعة فهو متمكن من جميع أنظار الوطن من الشمال إلى الجنوب و من الشرق إلى الغرب فهذا ما تحمله في طياته إلياذة الجزائر.

2-فلسفة الأخلاق في شعر مفدي زكريا (إلياذة الجزائر):

لقد دفعت الثورة الجزائرية إلى إثبات ذواتهم في الحياة الفكرية و السياسية و هي التي أفرزت جيلا من الشعراء التزموا بقضية الثورة و زادوا عنها بالفك و الشعر و النفس.

و كان مفدي زكريا شاعرا فاق غيره في هذا الميدان حين أحس بالثورة قبل أن تضرم نيرانها. ذلك في إلياذة الجزائر و برز ذلك جليا فيها من حيث الهدف و المبتغى.

و نحاول أن نكشف جانبا مهما من جوانب عديدة في أثاره الشعرية، و هي " فلسفة الأخلاق" التي نلمسها في شعره و نضاله و هو دليل أن الثورة قامت على قيم و مبادئ إسلامية فكرا، سلوكا و ممارسة، و قد التزم مفدي زكريا بهذه الأخلاق، و رصد الإيقاع الإنساني لشعب ثائر. و يضحي يتطلع إلى الحرية و التحرر. و كانت الأخلاق هي معجزة البرايا كما يراها شاعرنا مفدي زكريا.([1])

و الأخلاق علم عملي يهدف إلى تحقيق غاية في حياتنا، فهي تضيء الطريق السوي كما أن صاحب المثل العليا يتميز بطموح و النزوع إلى التسامي و التطلع، للإنسان إلى مزاولة حياة إنسانية كريمة، و هذا ما ألفتناه إليه النظر عند شاعرنا مفدي زكريا نفسه فوق مستوى الطبيعة إلى مستوى العقل لتصل إلى مستوى الإبداع، ثم إن الأخلاق لا تقف عند حد

[1]فطيمة داود، رؤيا فلسفية، لشاعر الجزائري مفدي زكريا، قسم اللغة العربية و آدابها، كلية الآداب و الفنون، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم الجزائر،13، 2012 على الساعة 21:25

القيم التقليدية أو المعايير الجماعية بل تمتد إلى خلق روح النقد و الإبداع و الابتكار في النفوس.

و قد خاطب مفدي زكريا بأخلاقه الإنسانية العقل، كما خاطب الإحساس من خلال انفعالات حية متصلة بالصور الحيوية تجلب في شعبه و أمته، و توضحت هذه الأخلاق في أشعاره كنداءات وجهت لضمير الإنساني مثال على ذلك في إلياذة الجزائر

و يا ذكريات الدماء الغوالي ايقضي جبالك ملء نشيـــــدي

و يا لعنت السماء، انزلـــــي صواعق، فوق الظلوم الحقود

و يا زهرة، زرعتها دمانـــا و فتحنا بالصباح الجديـــــد

ألاّ ضمني، مهجات الضحايا بخراطة المجد ربض الأسود([1])

و قد كانت الفضائل التي اتصف بها شاعرنا من خلال تربيته و وعيه الأخلاقي و البيئة المحافظة ميسمًا على سموه و سلوكه الخير الذي بصم أعماله و أشعاره و أفعاله، فكانت أخلاقه إبداعية وليدة الحرية النابعة من ضميره و إيمانه و عقله الإنساني، موجها طاقته الإبداعية لحياة أفضل، حياة حرة في ظل العدالة معاديا لظلم العدوان و قوى الشر، و رسم طريق إلى غاية قصوى هو الخير و التحلي بالقيم العليا التي تناغمت فيه، و لعله من الإنصاف أن يعثر مفدي زكريا (الشاعر) فيلسوفا أخلاقيا حيث تلازمت معه ثلاثية القيم. الحق، – الخير – الجمال، من خلال خشية الاعتقاد و حرية ملتزمة بالأخلاق و إبداع رائع خاشع، كانت مهمته الأخذ بيد الشعب نحو الإنعتاق و الحرية ليشيد حاسته الخلقية و يرى القيم و يدرك المعاني و يحس الجمال، و من عوامل فلسفة الأخلاق عند مفدي زكريا:

[1] مفدي زكرياء، إلياذة الجزائر،المصدر السابق، ص 67.

أ- **التربية و أخلاق الإسلام:** كانت لمفدي خبرات خلقية، فقد خبر الشر و الألم في عهد الثورة و اكتوى بنارها في سجون الاستعمار، و اشتعل حنينه مغتربا في تونس و المغرب، و خط بدمه عبارات الحرية و الأمل، و صرخ بشعره، منددا بظلم العدوان، مناشدا الاستقلال و الكرامة حبا لوطنه و شعبه.

و برزت أخلاقه الجهادية في سبيل حرية الشعب و إرادته في تقرير المصير، و أخلاقه الفروسية من شجاعة و شهامة و مروءة و تحد الإستعمار و ما خبرته من سجون بربروس و غيره إلاّ دليل على فروسية و جهاده، و هذا ما نلتمسه كثيرات في قصائده، و تشبع شاعرنا بمبادئ الأخلاقية و القيم العليا من بيئته الدينية المحافظة، فتشرب العلم و الدين و التربية الصحيحة إضافة إلى تربيته الإبداعية المثلى التي انطبعت في نفسه، فبزغ شاعرا مترفعا متساميا عن الدنايا و الخطايا، وكان لتعلمه دورًا في تنمية إحساسه الجمالي، و كانت " بني يزقن" المنهل الأول حين حفظ القرآن و تعلم مبادئ الدين الإسلامي، ثم انتقاله إلى تونس و دور البعثة الميزابية في إذكاء علمه و فكره([1])فأخلاقه يمكن أن نعزوها إلى عوامل مشتركة تمثلت في التربية الصحيحة القويمة، و التعليم الهادف، و الدين الإسلامي، فنشأ ذكي العقل موقد الحس لامس الحياة الواقعية خبر شرورها و خيرها و قد آلمه وطنه و شعبه تحت وطأة الاستعمار فأعلنها حربا للأخلاق وساند الحق من أجل شعبه و الجزائر و نجد في شعر مفدي زكريا دلائل كثيرة على تأثره بالقرآن و مبادئه من خلال الاقتباس للكلمات و المعاني الإسلامية، و في مواضع شتى، فالأخلاق في نظر الإسلام تتمحور في كرامة الإنسان و حريته إذ قال تعالى: " و لقد كرمنا بني آدم" الإسراء:(70).

[1] فاطمة داود، رأية فلسفية للشاعر الجزائري مفدي زكريا، المرجع السابق.

كما تحلى مفدي زكريا بأخلاق الإسلام و لمسنا قلبا مفعما مرؤة و نخوة في الحرب و السلم، قلبا مؤمنا محبا يثار وطنه على نفسه بأمانة و إخلاص و ذلك ليحقق إنسانية الإنسان فكان هذا العامل الإسلامي الحاسم و المؤثر في رسوخ هذه الأخلاق في وجدانه.

و هذه الأبيات تبين ذلك حيث يقول:

وأزرنا الترك حتى انتصرنا و لم يخفر الترك ماضى العهـــود

و قمنا نسوس البلاد بعـــــدل و نسدي الجميل، و نرعى الحدود

و لم نك للترك بالتابعين، و إن عززوا سعينا بالجهود

و نحن أناس نعد الجميـــــل و نرعى ذمام الصديق الـــــودود([1])

ب- الأخلاق و الإبداع:

لقد امتزجت فلسفة الجمال، و فلسفة الأخلاق في شعر مفدي زكريا كما امتزج اليونانيون قديما، حيث يرون أن الأخلاق قائمة على الانسجام بين وجدان الفرد و مطالب المجتمع، و النفس بطبيعتها تهفو إلى الجمال و تنفر من القبح، و حسب مفدي زكريا بحثا عن فعل الخير و جمال الفضيلة في ذاته، فقوام السلوك هو حب الفضيلة لذاتها و قد جعل الفن أداة لخدمة الأخلاق عند بعض الباحثين و عند البعض الأخر اعتبروه غاية، أي فن للفن، و هناك من يخضع الفن لمبادئ الأخلاق و مقاييسها، و رفضوا الفصل بين الفن و الحياة و العلاقة متبنة بين الفن و المثل العليا، فكلما كانت التربية الإبداعية أرقي، كلما تسامى الإنسان و ترفع عن الرذيلة، و لهذا نجد شاعرنا اتسم بهذه الأخلاق الإبداعية، و ناشد الفضيلة من خلال شعره و شعبه، و ثورته ملتزما بالحرية الإنسانية، نافرا من القبح و الألم و الشر التي هي أجزاء منحرفة عن الجمال و الخير و من خصائص مفدي زكريا المتميزة في شخصيته

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 52.

القدرة الإبداعية و الإدراك الجمالي، حيث ساعدت العوامل السابقة على اكتساب هذه القيم الجمالية

حيث يقول:

بلادي، وقفت لذكرى شعري فخلد مجدك في الكون ذكرى

و ألهمتني فصعدت الدنـــــا بإلياذتي في اعتزاز و فخر

و كتفت أوقع في الشاهقا ت خطى الثائرين بألحان صدري

فخلد قدس اللهيب بيانـــي و أذكى لهيب الجزائر فكـــري([1])

و ما ألفنا في شعر مفدي زكريا بصفته شاعرًا عاش أوضاع الجزائر من استعمار و ظلمه و عاش فرحة الحرية فلا شك أن هذا يعكس المبادئ الأخلاقية في مجتمعه كما أن وجود الأخلاق مرتبط في فلسفة الأخلاق في التجربة الإنسانية و العقل، هو الذي يطابق بين الحق و الخير و الجمال، و الفن الأخلاقي يعمل على تقييم الآراء الأخلاقية و هو فن له نتائج هامة، في تحسين الحقيقة الخلقية داخل الحدود التي تفرضها ظروف الحياة الاجتماعية.

و قد صور "مفدي زكريا" ظروف بلاده ، وحالاته الإجتماعية في لهجة مشحونة بالوجدان، حيث ربط عنده الإحساس بالقيم الجمالية، و القيم الأخلاقية.

و يقول في الإلياذة، عن حالة شعبه مازجًا بين الجمال و الأخلاق:

و جيش يردّد:هذي دمانا الغوالي دوافقنا دافعه

و يصدح طلابنا بالنشيد، و عمالنا، واليد الزراعه

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر،المصدر السابق، ص 83.

و بنت الجزائر تتلو نشيد العذارى، فتصغى الدّنا راكعه

و قمنا نشيد صرح البلاد و نبني سيادتنا الطالعه.([1])

و خلاصة ما يقال في هذا، أن شعر مفدي زكريا زاخر بالإبداع و الثورة و الإحساس، فكان مهذبًا للنفوس، معلمًا للحب، حب الأوطان و النّاس، عبر عن وظيفته المعرفية و الأخلاقية المحفزة على النصر و على البناء، تحت شعار الإيمان بالفضيلة و الحرية، و هي أسمى مكارم الأخلاق.

3- الأبعاد الفلسفية الأخلاقية في شعر مفدي زكريا:

سنحاول في هذا العنصر، أن نستشف فلسفة الأخلاق، و أبعادها في شعر "مفدي زكريا"، من خلال "إلياذة الجزائر"، حسب ما نجده من أبعاد وسمات، لكونه شاعرًا ملتزمًا بقضايا وطنه، وثورته المقدسة، حتى جعلت منه فيلسوفًا و شاعرًا، فهو الذي ربط مصيره بمصير شعبه، ما دامت الأخلاق سرّ نجاح الأمم، فقد فاضت في قصائده بشتى الصور، من بطولة و إيمان، و إرادة نابعة من شدّة العزيمة و الاعتزاز بوطنه وشعبه، و إحساسه العميق، وانفعالاته الصادقة، وروحه الدينية التي ارتبطت بطبيعة تربيته، و فهمه الواعي لكيانه الفكري في وسط ازدحمت فيه الحياة الثورية، و على هذا النحو، برزت فلسفة في آثاره.

أ)ــ الخير و الشر:

لقد وجد الحق و الخير بوجود الإنسان، و طبيعة البشر في فطرتها خيّرة، و من وظيفة الخير أن يضع المثل العليا للسلوك الإنساني، و يضع القواعد التي تحدد استقامة الأفعال الإنسانية، و يعرف الخير مع مقابلته بالشرّ، لأنّ الخير يطابق النظام الكوني، و الشرّ تمرّد على قانون الأشياء؛ و الخيّر هو رغبة في رفع القيم و العمل على النهوض بها

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 83.

و عكسه الشرّ وهو الحركة المضادّة التي تهدف إلى الانتقاص من القيم و العمل على الهبوط بها؛ و خبرة الشرّ تمثل حركة انحلال و سلب تحوّل دون نضج الحياة الخلقية و ازدهارها، فهو عرقلة لترقي القيم و عائق لتكامل النفس البشرية.
و بيّن لنا "مفدي زكريا" هذا الصراع في معظم قصائده، و القائم على التعارض بين الخير و الشـــرّ، و ممارسة الحرية مشروطة بهذا التعارض، فالشر شرط بوجود الخير، و صراع شاعرنا، صراع من أجل الحق و الخير، صراع بين شعب خيّر يسعى للحق، و بين مستعمِّر يسعى إلى الشرّ و سلب الحق كما أنّ المحبة هي إرادة الخير و الكراهية هي إرادة الشرّ، و كان شاعرنا مسؤولا لأنّ هذا الصراع يؤكد القدرة على الاختيار.

حيث يقول:

هذا الذي يا فرنسا، تهدفين له جهلاً، أما في فرنسا، حازم حذق؟([1])

و يقول أيضَا:

و ضع السلاح أحاديث ملفقة، خرافة، صاغها للكيد مختلق([2])

و في الأخير نرى أن معاني الحق و الخير في شعر "مفدي زكريا" هي في الأساس تتوحد وتلتقي مع الجمال، و في نفس الوقت تتداخل مع العدالة و الحرية، وندرج هذا ضمن الفضيلة التي خصصناها للعنصر الأخير. على سبيل الإيضاح و التفصيل فقط و الحقيقة أنّ كل ذلك أخلاق تتضمنـــــها الفضيلـــــــــــة في مقابل الرذيلة، وهذه القيم كرّس لها شاعرنا "مفدي زكريا" حياته و قلمه و روحه راسما أبعادها و حيثياتها، انطلاقا من واقع الحياة، فكان في ذلك فيلسوفا أخلاقيا مهمته الأخذ بيد الشعب، ليستردّ قيمه المفقودة. فجاءت نظراته متمعنة فلسفية تنبّئ عن خبرة فكرية عميقة تغوص في كنه الأشياء.

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، المصدر السابق، ص 29
[2] المصدر نفسه ، ص 30.

بعد ثنائية الخير و الشر، نجد "مفدي زكريا" ، في ثنائية أخرى و هي الثنائية الغالبة في أشعاره، لما لها من أبعاد ثقافية، سياسية، وحتى دينية و عرفية و هي:

ب)ــ الحرية و العدالة:

و إذا وصلنا بين ما تقدّم، فإن الحرية و العدل، تشملها خبرة الخير، والألم و اليأس و الاستغلال يشملها الشرّ.

و في سبيل هاتين القيمتين وهب الشاعر حياته فداء لها، فجاهد و ذاق مرارة السجن و الاعتقالات التي أذكت إحساسه بالحرية و حتمية الاستقلال، فأعلنها حربا للعدالة و الحرية، حربا ضدّ الظلم و العبودية.

حيث يقول:

يا ربّ قد أغرقتني ذنوبي و أنت العليم بما في الغيوب

أتوب إليك بإلياذتـــــــي عساها تكفّر كل ذنوبي

عصيتك علمًا بأنك تعفــو على المسرفين فهانت خطوبي.([1])

و لقد أحس بالحرية و حتمية الاستقلال، فأعلن حربًا للحرية و العدالة، حربًا ضد الظلم و العبودية، و تفسر العدالة بأنها الخط الوسطي في تعديل الصفات النفسانية و العدل هو التقسيط اللازم للاستواء، كما يتلازم الحق و الخير، كذلك يتلازم الحق مع العدالة، تلازمًا تامًا، و العدالة تتجه للفرد و المجتمع، بالنسبة للفرد ترتبط بالتقييم الخلقي، كالصدق و المروءة، وغيرها من الصفات أما بالقياس إلى المجتمع، فيعبر عنها بالعدالة الاجتماعية،

وهي مساواة بين أفراد المجتمع، أي ليس هناك طبقية، أما العدالة هي الحقوق، الحق في الحياة، الحق في الحرية المطلقة، أي العدالة الإلهية، دون التي أقرها القانون الوضعي.

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 114.

و يقول:

أمن العدل، صاحب الدار يشقى ودخيل بها يعيش سعيد؟!

أمن العدل، صاحب الدار يعري و غريب يحتل قصر مشيد؟

و بجوع ابنها، فيعدم قوتـــــــا و ينال الدخيل عيشة رعيد؟؟([1])

إن العدل يرتبط عند العربي و المسلم بصفات أقرها التاريخ، و جاء القرآن ليرسخ العدالة، لأنها من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، و تستلزم صفة العدل، الصدق المطبوع، لا، المكتسب ، وهذا كان دأب أسلافنا الأشراف، فالنبل و الشرف، يجري في دّم المسلم، و هذا ما اتصف به الشاعر و شعبه، و تشرب معاني العدل.

و شاعرنا " مفدي زكريا" يركز جل التركيز، على فكره، الحرية و العدل و يربطها بالمساواة في مرحلة ما بعد الاستقلال و التي كانت و الاشتراكية تنشد العدالة الاجتماعية.

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس ، المصدر السابق، ص 22..

ثم إن الإستقلال قيمة أخرى، تساوي الحرية، بل إن الاستقلال هو الحرية، و هما وجهان للكفاح الجزائري، و هو رمز العزّة و السيادة، رمز لفلسفة الثورة الأخلاقية، و يعبر بذلك بلسان شعبه المناضل، فترفض كل شيء دون الاستقلال و الحرية و العدل.

ففي شعره يثير حماس الشعب، ليمضي نحو العلا في سماء الحرية، معبرًا عن هذا الغاشم الذي هزّ قيم العدل و الحرية، فقيمة الحرية، تمثلت في الحماسة الفعلية على أرض الواقع المؤلم، وعليه جسدّ شعره هذه القيمة ، و الملاحم البطولية، التي أسمع عنها الدّهر، على نشيدا الحرية و الدفاع عن القيم الإنسانية، باندلاع ثورتنا في النضال و الكفاح، و لا يخفى أن الحرية اتسمت أيضًا بمفهومها السياسي.

فيقول:

بلى..يافرنسيس،هذا الحمى صنعنا سيادته بالدّما

بالونا السنين الطوال جهادًا تباركنا معجزات السمّا

مضت مائة و ثلاثون عامًا نذوذ، و نأنف أن نهزما

صعدنا، نقاوم، شرقًا و غربًا و نجعل أرواحنا سلما.([1])

كما ارتبط الدّم و الموت بالحرية، و ارتبط السلم و السلام بها، و لتحقيق السلم لا بد من الحرب العادلة، و الحرية تقوم بفضل الإرادة و الالتزام بها، من خلال الاعتقاد و الاختيار، كما تقترن بالحرية كرامة الإنسان و هما ملتحمتان لتحقيق الشخصية الإنسانية، و كل القيم الأخلاقية ترتكز على الاعتقاد، بحرية الإرادة الإنسانية، و الحرية الفردية، بشرط عدم الإضرار بالغير، و هذه هي الحرية الرشيدة المحكومة، بحدود العقل.

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 54.

و تظهر في قصائد " مفدي زكريا"، ثلاثية الحرية و هي: الإرادة الخيرة، و الواجب و الكرامة، فمن واجب الإنسان أن يعيش حرًا، كريمًا.

إذ يقول:

وتبًا لمجتمع خائـــــــر تعيش الرجال به كالدمى!!!

يموت و يقبر فيه الضمير، و يحمى البريء به المجرما!

تعالي فرنسا..أدخلي بسلا م، فأبناء صلبك ملء الحمى

غدًا بالزغاريد يستقبلون نزولك في أرضنا...بعدما..([1])

هكذا كانت فلسفة "مفدي زكريا" في العدل و الحرية، و لا يتسع هنا المقام لكثير من أشعاره، المغمورة بهذه المعاني، التي قد تستغرق صفحات كثيرة، بعدد دواوينه، لنعود إلى ثنائية لا تقل أهمية عن الثنائيتين السابقتين، فبعد الخير و الشر، و العدالة و الحرية، إلى الحب و الأمل.

ج)ــ الحب و الأمل:

إنّ المحبة أو الحُبُّ الأخلاقي، أسلوب العمل أو السلوك، و تختلط المحبة بالإحسان أي حب الخير و صنعه، وهي من الخبرات الإيجابية في حياة البشر تتشارك مع الأمل و السعادة.

و قد حثّ الإسلام على هذه القيمة، لأنّ الحب مصدر سعادة الإنسان في علاقته مع الله عز و جل، وفي علاقته مع بني البشر، هذه العلاقة تخلف حبًا به يسعى الإنسان لنفع أخيه والإحسان إليه، وهناك أنواع من الحب لا نريد أن نفصل فيها.

[1] مفدي زكريا إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 105.

كما أن الحب أساسه الإيمان، و يتلازم مع الإخلاص والوفاء، ونعثر على الحب الإنساني في النفوس المرهفة الإحساس و الشعور، الطيبة الخيرة، كنفس شاعرنا "مفدى زكريا" الذي أحب وطنه و شعبه، وضحى من أجل هذا الحب الأسمى، وهو حب للحرية و الاستقلال و الخير، حب للفضيلة و الجمال، والطبيعة وحب الله عز وجل.

حيث يقول في هذا المقطع الذي بين حبه لوطنه:

يا جنة غار منها الجنـــــــان وأشغله الغيب بالحاضر

و يا لجة يستحم الجمـــــــال و يسبح في موجها الكافر

و يا ومضة الحب في خاطري و اشراقة الوحي للشاعر([1])

و يقول أيضا في حبه لله وتعلقه بالعقيدة:

و لولا العقيدة تغم قلبـــــي لما كنت أمن إلا بشعبي([2])

إذن حبه الأول و الأخير كان للجزائر، التي يراها محبوبا لا يستغنى عنه، فهي الأنثى، وهي الجمال، و هي الطبيعة، و هي الثورة، بشعبها في عنفوانها، وهي الحرية و الأمل نحو مستقبل مشرق.

و الجزائر للشاعر، هي هواه فهو متغزل بها عاشق لها ، ولا لوم عليه ولا عار لأنه حب أسمى، لا يصل إليه غير شاعر آمَنَ بقضيته.

إن الحب من أهم الخبرات الخلقية، ولها دلالات وجدانية كثيرة، فهي ترادف الإيثار والإخلاص، والصدق، ومضمونها الإيجابي يجعل منها ضربا من التلقائية و الإبداعية، فالمحبة تتجه نحو القيم، و المخلوق الذي يستشعر بالحب، لا يلبث أن يجد نفسه مستغرقا في

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر السابق ص، 20.
[2] المصدر نفسه، ص 21.

حياة جديدة محققا ضربا من التواصل الخلقي بين الأنا و الآخر، و كأنها خرجت من ذاتها و تسلسلت إلى الآخر فهو حب في مشاركة الآخر عواطفه و انفعالاته و سعادته و آماله ، و الحب يفهم الآخر بالاستبصار، و يفقه إنصاف الكلمات، و يدرك الإشارات، فخبرة الحب أعلى الفضائل، إرادتها خيّرة و نيتها طيبة، و هي طاقة و إنتاج من خلال الإيثار والإخلاص و الإحسان.

و لاشك أنّ مفدي عاش من خبرة الحب، و قد شعر أن حضرة المُحِّب هي أشبه ما تكون بقوة أخلاقية هائلة، تتسامى بالفرد إلى مستوى الإنسان المثالي ؛ فالمحب يخلع على الوجود البشري عمقا، ومعنى و قيمة فيكسبه ذلك قصدا و هدفا و غاية، و هذا الحب هو حب أخلاقي، يرتفع و يرتفع، و يرتقي للحب الإنساني و الحب الإلهي، فهو حب المثل العليا.

كما أنّ الحُبّ يجمع بين اللذّة و الألم، و النشوة والعذاب بين الأمل و اليأس و بين السعادة و الشقاء.

فيقول:

إذا لم ينتفض للجمـــال و لم يبل في الحبّ حلوًا و مرّا

فلا تتقن به في النضال و لا تعتمد في المهمات صخرًا.([1])

و أخيرًا نختم الأبعاد الفلسفية بما نسميه.

د)ــ الفضيلة:

إنّ الفضيلة هي أخلاق أو هي ملكة خلقية مرتبطة بالاختيار، وهي قيمة من القيم، ومن بين الفضائل التي أحصاها "مفدي زكريا"، و تبناها و هي: الشجاعة، الحزم، العزم، الصمود، الصّدق، النخوة، النكاية في العدو، و قمع الأعداء.

[1] مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المصدر نفسه، ص 25.

كما قال في النشيد الوطني: و عقدنا العزم أن تحيا الجزائر.([1])

هذه الفلسفة رافقت الثورة، و كانت سببا في الاستقلال، و يقابل الفضائل رذائل المستعمر، و من الرذائل: الظلم، و الجبن، و الخداع، و المكر و السفه، و الغدر، و الجهل، و الكسل، و العجز، و الخيانة، و اليأس.

قامت فلسفة الأخلاق عنده على أبعاد إصلاحية و تربوية، فاستنهض الهمم ودعا إلى الاستقامة و الصلاح.

حيث يقول:

طبائعنا، صالحات جليلة تعاف انحلال النفوس الذليلة

و تأبى رجولتنا الابتذال و أحاسيسه، و الشهور الطويلة

تجنت هذا الزمان و دبت خنافيس هيبي، يشيع الرذيلة([2])

هنا يحث الشباب على العمل و نبذ العجز: داعيًا إلى الصدق و الصبر، والإيمان، و مكافحة المستعمر و عدم خيانة الوطن.

و لقد كانت رسالة الأخلاق عند "مفدي زكريا"، كلها فضائل و قيم لبناء و تشييد الوطن، و أمة راقية منتظمة، و لتحقيق الحرية.

و أخيرا، في الختام، يتبين أن "مفدي زكريا" كان شاعرًا للمجد و مكافحًا من أجل الاستقلال ، وكان شعره يحمل في طياته، أبعادًا تنبئ بفلسفة أخلاقية و ظهرت جلية في كل دواوينه، فقد جمع فيها الإبداع و لغة الجمال، و الأسلوب الرائق مضامين خدمت بلاده، و مجتمعه، بل الأمة العربية الإسلامية، لما حوته من أفكار أخلاقية شملت الحماس الثوري،

[1] مفدي زكريا، اللهب المقدس، المصدر السابق ، ص61.
[2] مفدي زكريا إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 25.

و المطالبة بالحرية، و العدل، وإصلاح للمجتمع في كل المجالات، قبل و بعد الاستقلال، في الميادين الاجتماعية، و السياسية و الثقافية، و الاقتصادية.

و لا شك أن شعره، حمل كل هذا الكم المشحون بالعواطف الإنسانية و الأحاسيس المرهفة التي انثالت من شعره صدقًا و حقًا ، وإيمانا برسالته في الحياة، و لا نسى دوره في الصحافة هي المهنة التي تتطلب الصدق، و الكفاح لتوصيل الرأي الصائب و الفكرة البناءة.

فلم يترك فضيلة و لا قيمة، من القيم إلاّ و التزم بها منددًا و داعيًا، و مصلحًا و ناصحًا، و إن هذه الفلسفة الخلقية التي تأصلت في شخصيته و تربيته، قد انعكست على شعره الذي كان يزال يطرب آذان الإنسانية، و يمكن أن نعبر بحق عن الشعر و آداب عالمي يستحق وسام الاستحقاق و الجدارة لخدمة الإنسانية، ,من هنا نختم هذه الأبعاد الفلسفية بما قاله "مفدي زكريا":

إليك صلاتي، و أزكى سلامي بلادي، بلادي، الأمان الأمان!([1])

[1] مفدي زكريا إلياذة الجزائر، المصدر السابق، ص 118.

خاتمة

خاتمة:

لقد خصصنا في دراسة هذه المذكرة تحت عنوان" الأبعاد الوطنية والتربوية في شعر مفدي زكريا، دراسة في إلياذة الجزائر"، فصلين و يظهر في.

ـــ لمحة تاريخية عن الثورة الجزائرية، و أهم شعرائها الذين عايشوا الثورة الجزائرية

ـــحياة الشاعر مفدي زكريا، و هنا تطرقنا إلى نشأته، و طفولته، و تعلمه، ثم حياته العملية و كفاحه الوطني و القومي .

ـــ أهم أعماله، و خصصناها لدواوينه، " اللهب المقدس"، " تحت ظلال الزيتون"، "من وحي الأطلس"، و "إلياذة الجزائر".

ـــ مختارات من شعره، "النشيد الوطني الجزائري"، " نحن طلاب الجزائر"، " نشيد العلم"، نشيد" الشهيد".

ـــ دراسة في إلياذة الجزائر، و هنا قمنا بلمحة عامة عن إلياذة الجزائر، ثم إلى أقسامها، أين تنقسم إلي قسم الجمال الطبيعي، قسم المعاني و الجلال، قسم الحضارة.

ـــ خصائص شعر مفدي زكريا و ما اتسمت به من مميزات، أنه شعر أصيل حتى النخاع، و صادق، مستمد من التراث الإسلامي، رائع في رسم الصورة الشعرية الحية المؤثرة، و بارع في الاقتباس و التضمين سواء المفردات أو الأحداث، و دائم الدعوة إلى الوحدة الكبرى.

ـــأسلوب مفدي زكريا ، قوي الشخصية، مرهف الحس، و هو دائم الدعوة إلى العدل و المساواة، أسلوب حماسي نابع من شدّة تعلقه بوطنه، و تربوي.

ـــ بعض المناضلين، و الشهداء، الذين تطرق إليهم في الإلياذة، أمثال علي لابونت، سوسطال، ماسينيسا، تاكفاريناس، عبد الجباربن حميديش، و كذلك بعض المصطلحات

التي تدل على الوطبية، و أنه عريف المناطق و الثقافة الجزائرية، مثل غابة بينام، حمام ملولن، حمام ريغة، شريعة، طولقة، المغير.

ــ فلسفة الأخلاق في شعر "مفدي زكريا" أين تطرقنا إلى عنصرين مهمين، التي استمد بهما هذه الفلسفة، و هما التربية و الأخلاق، و الأخلاق و الإبداع، فهما نقطة الانطلاق و الركيزة الأساسية في الفلسفة التي يستخدمها في جميع أشعاره، و هي مستمدة من بيئته، من جهة، و من بطش الإستعمار و ألم السجون من جهة أخرى، فرغم كل هذا لم ينحرف عن أخلاقه.

ــأبعاد فلسفة الأخلاق في شعر مفدي زكريا، أين قسمناها إلى ثنائيات، تتمثل في "الخير و الشر"، فقد ميز بينهما، ووضع حدودًا تفصل بينهما، لذلك فإن الخير و الشر متعاكسان، فالخير يمثل عنده الشعب الجزائري الذي يعاني الألم، أما الشر فهو المستعمر،" الحرية و العدالة"، فأما الحرية فهي حلم الشعب، و العدالة فيريد تحقيقها، " الحب و الأمل"، فقد ظهر الحب في شعره،حبه لله، حبه للوطن،و حبه للوحدة و الأمل في تحقيقها، "الفضيلة"، و هي صفة ركز عليها، لأنّها رمز للعزم، و كانت سبب للاستقلال، و أذا تحلينا بها أبعدت علينا كل الصفات الرذيلة، من جهل، و ظلم، و خداع.

مصادر البحث و مراجعه:

أ- المصادر:

1-مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للنشر و التوزيع، ط2، الجزائر، 1987.

2-مفدي زكريا، تحت ضلال الزيتون، موفم للنشر، ط2، منتدى سور الأزيكة، الجزائر، 2007.

3-مفدي زكريا، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون، ط2، الجزائر، 2007.

4-مفدي زكريا، من وحي الاطلس، المؤسسة الوطنية للفنون، ط2، الجزائر، 2007.

ب- المراجع:

1- سهام خرفي، سلسلة المشاهير الادب العربي، ط2، الجزائر، 2012.

2-مؤسسة مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم و قصائد أخرى، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر، الجزائر، 2012.

3- المتحف الوطني للمجاهد، أناشيد وطنية، المؤسسة الوطنية للنشر و الاتصال و الاشهار، الجزائر، 2002.

4-أسماء بن مصور، شعرية المبالغة لإلياذة الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الماجيستر في الادب العربي، 2009.

5-حمة دحماني، دراسة ظاهرة الغربة في شعر مفدي زكريا، 2005.

6-فطيمة داود، رؤية فلسفية للشاعر الجزائري مفدي زكريا، قسم اللغة العربية و آدابها، جامعة عبد الحميد بن باديس، الجزائر، 2012.

7-مصطفى بن صالح باجو، محاضرة ألقيت في قاعة المحاضرة بمناسبة فتح القاعة، جامع السلطان الأكبر، مسقط، 2005.

8-محمد زغوان، الكون القيمي الراتب في ثقافة المقاومة الجزائرية لإلياذة الجزائر، نموذج مجلة العلوم الاجتماعية، الجزائر.
9- موقع مدونتي قصة النشيد الوطني.
10- موقع wikipedia الموسوعة الحرة.

الفهرس

الاهداء

تشكرات

مقدمة

الفصل الاول: مفدي زكريا سيرة و مسيرة.

1-مفدي زكريا سيرة و مسيرة.

1-1-لمحة تاريخية عن الثورة التحريرية.....13

1-2-أهم شعراء الثورة التحريرية.....14

1-3-حياة الشاعر مفدي زكريا و نشأته.....15

أ- حياة الشاعر المجيدة.....15

ب- كفاحه الوطني و القومي.....19

1-4-أهم أعماله.....22

أ- ديوان اللهب المقدس.....23

ب- ديوان تحت ضلال الزيتون.....26

ج- ديوان من وحي الاطلس.....28

د- ديوان إلياذة الجزائر.....29

1-5-من شعر مفدي زكريا.....32

أ- النشيد الوطني الجزائري.....32

ب- نشيد نحن طلاب الجزائر.....33

ج- نشيد العلم.....34

د- نشيد الشهداء.....36

الفصل الثاني: أبعاد شعر مفدي زكريا (دراسة في إلياذة الجزائر).

1-أبعاد شعر مفدي زكريا (دراسة في إلياذة الجزائر).....39

1-1-لمحة عن إلياذة الجزائر.....39

1-2-أقسام إلياذة الجزائر.....41

أ- قسم الجمال الطبيعي.....41

ب- قسم المعاني و الجلال.....43

ج- قسم الحضارة.....45

1-3-خصائص شعر مفدي زكريا.....47

1-4-أسلوب مفدي زكريا.....55

1-5-بعض المناضلين الذين تطرق إليهم في الالياذة.....56

2- فلسفة الاخلاق في شعر مفدي زكريا.....58

أ- التربية و الاخلاق.....60

ب-الاخلاق و الابداع.....61

3- أبعاد فلسفة الاخلاق في شعر مفدي زكريا.....63

أ- الخير و الشر.....63

ب-الحرية و العدالة.....65

ج- الحب و الامل.....68

د- الفضيلة.....70

خاتمة

المصادر و المراجع